الباب الثامن

حملة نابوليون بونابرت على مصر

obeikandl.com

الفصل الأول
نبذة عن حملة نابوليون بونابرت على مصر

مقدمة:

رغم قِصر المدة التى قضتها الحملة الفرنسية فى مصر، والتى بلغت ثلاثة أعوام وشهرين، فقد كان لها آثار كثيرة وهامة فى مجالات مختلفة، فهى تُعَد نقطة تحول هامة فى التاريخ المصرى القديم.

فقد تحولت مصر فى نهاية العصر العثمانى إلى دولة ضعيفة بعد قوة، دولة فقيرة دخلها منهوب بعد ثراء وغنى. دولة متخلفة بعد أن كانت سيدة المنطقة. وكان حكم البكوات المماليك فى نهاية هذا العصر هو عصر تأخر وجهالة.

انتهز الفرنسيون هذه الحالة من الضعف والتردى، التى كانت تسود مصر، مع ضعف السلطان العثمانى. وانصراف البكوات المماليك إلى الخلافات فيما بينهم، واستغلال البلاد ماديا إلى أقصى حد لتحقيق منافع خاصة لهم.

واختارت فرنسا أرض مصر لتكون نقطة لصالحها فى نطاق الخلاف التقليدى على سيادة العالم بينها وبين إنجلترا.

وكان نابوليون بونابرت، هو القائد المرشح للقضاء لصالح فرنسا. [نابوليون هو من أعظم القادة العسكريين فى القرون الحديثة. ولد عام ١٧٦٩ فى أجاكسيو، عاصمة جزيرة كورسيكا - تولى قيادة الجيش الفرنسى فى حربه مع إيطاليا وانتصر فيها (١٧٩٦ - ١٧٩٧ م) ثم زحف على مصر والشام. ثم عاد إلى فرنسا وقبض على زمام الأمور وأصبح قنصلا أول. ثم تُوّج إمبراطورًا سنة ١٨٠٤ م.] وكان اختيار نابوليون بونابرت لمصر لأنها الطريق الواصل بين إنجلترا والهند أكثر مستعمراتها وأغناها، وأسهب بونابرت فى عرض وجهة نظره لإقناع الحكومة الفرنسية بأنه يمكنه فتح مصر وإنشاء مستعمرة فيها فى بضعة أشهر، تكون قاعدة هامة للفرنسيين بسبب موقعها الجغرافى، الذى يُمثل مركزا بين الشرق والغرب، وملتقى للتجارة التى تتبادلها القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا. وأنه يمكن للسفن الفرنسية أن تصل إلى البحر الأحمر، وتهاجم أملاك الإنجليز فى الهند. وتستطيع فرنسا أن تجعل من مصر مستودعا لمتاجر العالم، فتعوض فرنسا ما فقدته من المستعمرات، وتكون فى ذات الوقت قاعدة

لضرب إنجلترا فى الهند، وبسط سيادة فرنسا فى البحر المتوسط، وعرض نابليون حججا أخرى تتمثل فى أنها أخصب بلاد العالم، وأنها كانت مخازن الغلال فى العالم القديم، وأنه فى الإمكان ترقية زراعتها وإعادة منزلتها القديمة إذا وُجدت بها حكومة حديثة وإدارة صالحة. وتم تكليف نابليون بالمهمة وأخذ يُعد لها فى سرية تامة.

أخذ نابليون يُعد لحملته من أبريل ١٧٩٨ م إلى أن أبحر فى الشهر التالى وقد أطلق على جيشه هذا «جيش الشرق» ومن الاطلاع على تكوين هذه الحملة يمكن استنتاج ما كان يهدف إليه بونابرت فلم يكن هدفا عسكريا فقط. فقد تألفت الحملة من ٣٦٥٥ من الضباط والجنود المسلحة المختلفة. وضباط الأركان العامة، ومن المدفعية والفرسان والمشاه والمهندسين والخدمات الطبية، بالإضافة إلى الجنود والخيول والمعدات الحربية، والمدافع الثقيلة، ومدافع الهاون من مختلف الأعيرة، ومدافع للحصار، وهؤلاء يُقلهم أسطول مكون من ثلاثمائة سفينة يحرسها أسطول مكون من خمسة وخمسين سفينة حربية.

كما اصطحب نابليون معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها فى مختلف نواحى المعرفة، فى الرياضة والهندسة والطب والجغرافيا والفلك والأدب والكيمياء والاقتصاد والسياسة والآثار وفن المعمار وهندسة الرى والجسور الخ.. علاوة على طائفة من المصورين والرسامين والموسيقيين والنقاشين والمثالين، وجميعهم مزودون بآلاتهم ومعداتهم ومعاملهم.

وصلت الحملة عرض البحر أمام الإسكندرية فى أول يوليه ١٧٩٨ م وشرعت فى إنزال قواتها غرب الإسكندرية قرب العجمى، واحتلوا الإسكندرية بعد مقاومة خفيفة، واتجهوا صوب القاهرة، وبعد خسائر فادحة جعل مراد بك قائد الجيش الأول يَفِر هاربا إلى الصعيد وبعده إبراهيم بك القائد الثانى يفر إلى سوريا.

وما أن استقر نابليون فى مصر حتى شرع فى إرساء نظم جديدة للحكم لتحل محل النظم العثمانية والمملوكية، كما أرسل علماءهُ يجوبون مصر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من أقصاها إلى أقصاها، يبحثون ويؤلفون ويكتبون ويدونون ويرسمون كل ما كان تقع عليه أعينهم، ليخرجوا فيما بعد بكتابهم الشهير «وصف مصر Deseription d'Egypt» وهو يُعد تقريرًا للواقع المصرى من شتى النواحى وقت الحملة.

ولما استتب الأمر لنابليون في القاهرة عاد يفكر في استمرار فتوحاته، فاتجه نحو سوريا ولكنه وقف أمام عكا وتفشى الطاعون في جيشه، فعاد إلى القاهرة بعد أن فقد أربعة آلاف من جيشه.

ولم يجد نابليون بدًا من التراجع عن أفكاره التوسعية، واقتنع بأن تحقيق آماله في مصر والشرق أصبح بعيد الأمال، فغادر مصر سرًا في ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ م، تاركًا القيادة في مصر للجنرال كليبر.

فَعَمَّ السلب والنهب والقتل أنحاء القاهرة لما ظهر من بطش الفرنسيين، وتجلت المقاومة الشعبية بقتل الجنرال كليبر على يد سليمان الحلبي في ١٤ يونية ١٨٠٠ م، فتولى القيادة بعده الجنرال «مينو» ولكنه كان ضعيفا فنفر منه الفرنسيون والمصريون معا. وفي سنة ١٨٠١ م تحالف الأسطول البريطاني مع الأسطول العثماني للقضاء على الوجود الفرنسي، فاضطر الجيش الفرنسي للتسليم والانسحاب في ١٥ أكتوبر ١٨٠١ م، وعادت مصر للتبعية العثمانية. ولكنها تبعية شكلية، فالأحداث التي مرت بها البلاد جعلت الشعب يدرك أن حكامه من العثمانيين أو المماليك غير قادرين على الدفاع عنه، كما أدرك القوة الكامنة داخله والتي مكنته من مقاومة الحملة في أنحاء البلاد، فمرت السنوات الأربع السابقة على تولية محمد على الحكم في صراع بين القوى المختلفة إلى أن رجح الشعب كفة محمد على سنة ١٨٠٥ م.

الفصل الثانى

الملابس كما تحدث عنها المؤرخون

لا يستطيع مؤرخ أن يكتب عن بلد ما دون أن يُخصص جزءًا كبيرًا للحديث عن المرأة، وتأثيرها فى هذا المجتمع وتطوره، وما يعكسه هذا المجتمع على المرأة من عادات وتقاليد فى حياتها الخاصة، فلم تعد كتابة التاريخ سردًا للحوادث وتتابعها، بقدر ما هى تفسير لهذه التطورات وربطها بالحياة الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية.

ومن الأمور التى تُهم فى هذا المجال وهو ما يتعلق بملابس المرأة المصرية أيام الحملة الفرنسية، إذ إن الحياة التى تحياها المرأة فى أى وقت من الأوقات هى التى تُحدد، وتخطط زيها، كما أن الصناعات القائمة، وثروة البلاد تحصر الخامات المستخدمة فى تلك الأزياء.

ولعل ما يُفيد كذلك فى دراسة الأزياء، ما يضطرنا إلى تناول بعض الرسوم والاسترشاد بها، والتى احتوت على صور تساعد على التعرف على أزياء هذه الفترة، والموجودة فى التصوير الإسلامى المعروفة «بالمنمنمات Miniature». ولعل أبرز الأعمال التى تَمُت بصلة وما تزال باقية - هى المخطوطات المصورة التركية والتى أثرت على اللباس التركى فى الإمبراطورية العثمانية، ومن بينها مصر بطبيعة الحال.

ومن المخطوطات الهامة والفريدة التى احتوت على صور فى التصوير الإسلامى مخطوط «سيرنامة Surnama» وهذا يُعتبر سجلا للاحتفالات العثمانية. وللحياة الاجتماعية أيضا.

ويُعتبر بداية القرن السادس عشر الميلادى هو مرحلة النضوج بالنسبة للتصوير التركى، وخاصة فى عهد سليمان القانونى الذى امتد قرابة نصف قرن من الزمان.

أما فى القرن الثامن عشر فبدأت مدرسة التصوير العثمانى تأخذ طابعا جديدا بعد أن ترك السلطان أحمد الثالث «أدرنة» ورجع إلى اسطنبول سنة ١٧١٨ م، فى تلك الفترة التى عُرفت فى تاريخ الدولة العثمانية باسم «السوسن Tulip» والتى امتدت من ١٧١٨- ١٧٣٠م. وكانت تلك الفترة تمثل الثراء والبذخ والبهجة والسرور.

وإذا كان السلطان أحمد الثالث لا يُعد من أهل السياسة والإدارة، إلا أن الدولة وصلت فى عهده إلى درجة كبيرة من التقدم والازدهار فى الثقافة والفنون. فقد أنشئت فى عهده أول مطبعة

وأقيم كثير من المكتبات والعديد من المنشآت العامة والدور والقصور، وقد عُنى بالخطاطين والكتّاب والشعراء والفنانين وكان هو راعيهم.

ومن أشهر فنانى هذه الفترة – فترة السوسن – التى امتدت مدة (١٢) سنة المصور «لونى» الذى أتى مع السلطان من أدرنة واسمه الأصلى عبد الجليل شلبى الذى صور (سيرنامة وهبى Surnama Vehbi).

وتُعتبر صور «السيرنامة وهبى» أحسن وثيقة لذلك العصر، كما أنها تُمثل مميزات التصوير فى تلك الفترة أصدق تمثيل، فالصور تمتاز من حيث الموضوع بالدقة والحرص على النسب والأشكال وامتازت الرسوم الشخصية فى هذا العصر بأنها لم تكن قاصرة على السلاطين وعلية القوم بل امتدت حتى شملت عامة الناس مثل الراقصات والمغنيات.

وهكذا يمكن القول بأن عصر السوسن فى تاريخ الفن العثمانى يُعتبر مرحلة نضوج تام لشخصية التصوير التركى جمعت بين الفهم الكامل للتأثيرات والتيارات الغربية المعاصرة مع الإبقاء على الشخصية والقومية العثمانية الأصيلة.

كما امتازت مدرسة التصوير فى القرن الثامن عشر الميلادى، بالاهتمام برسم الزهور والإقبال عليها إقبالا كبيرا. والتى برع فى رسمها الفنان عبد الله البخارى، وكذا الرسوم الشخصية وخاصة النساء، كما ظهر فى صور هذه الفترة تأثير طراز الركوكو وخاصة فى النصف الأخير من القرن (١٨م) وذلك بتأثير المصورين الأوروبيين الذين وفدوا على مراسم القصر.

على أن الملابس فى العصر العثمانى – وإن كانت معروفة بصفاتها المميزة – لا يمكن اعتبارها دراسات جدية.

وممن اهتم بالحديث فى ذلك بشىء من الإحاطة والتفصيل «لين» فى كتابة التقاليد والعادات عند المصريين المحدثين. [إدوارد لين: حضر إلى مصر سنة ١٨٢٥ م وسِنُّه ٢٤ سنة ومكث بها ثلاث سنوات طاف خلالها بأنحاء مصر من الإسكندرية إلى القاهرة ثم إلى أعالى النيل، وقد أخذ معه وصفا لمصر وبعض الرسومات التى رسمها بنفسه، وابتدأ بنشر هذا الكتاب سنة ١٨٣٦ م.

و «كلوت بك» فى كتابه «لمحة عامة إلى مصر إذ يقول «لين» عن ملابس الطبقة العليا والوسطى فى مصر إنها كانت دائما جميلة، وفيها ذوق.

بينما وصف «كلوت بك» ملابس نساء العظماء وذوى الحيثيات وغيرهن من سائر النساء بما اجتمع فى ملابسهن من تنوع أسباب الزخرفة والزينة والتبرج من زركشة بالذهب والحرير، واستعمال الكشمير ذى الألوان الساطعة وما يُتيح ذلك من التوشية وغيرها.

وقد تحدث هذان الكاتبان عن ملابس المرأة فى هذا الوقت الذى يقع فى أخريات القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، وتناولا فى ذلك القطع الآتية:

الملابس الداخلية :

١- الصدار: القميص الداخلى القصير :

والصدار هو لباس داخلى اتخذته النساء، إلى جانب أنواع أخرى، ويُعتبر الصدار قميصا صغيرا داخليا يلى الجسد – ويختلف عن القمصان الأخرى فى أنه صغير ويُغطى صدر المرأة ومنكبيها وكان هذا النوع من القمصان تلبسه النساء أسفل القميص الآخر المطرز والمزخرف.

٢ – القميص :

قال عنه «لين» إنها واسعة مثل ملابس الرجال، ولكنها أقصر منها. فبينما كانت قمصان الرجال تصل إلى الركبة، كانت قمصان النساء لا تصل إليها، وهذا يخالف ما كان متبعا فى عصر المماليك، إذ كان أقل طول لها يصل إلى الركبة. ثم أوضح أنها كانت تصنع من الأقمشة القطنية والتيلية الملونة أو السوداء.

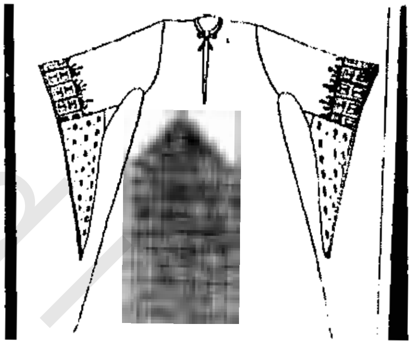

قميص مطرز من العصر العثمانى. من قماش الكتان الرقيق جدا. قوام الزخارف الهندسية غاية فى الدقة والجمال والتطريز بخيوط الحرير بالألوان الأخضر والأصفر والبيج والأحمر والأزرق بغرز مختلفة من التطريز. أما زخارف الأكمام فقوامها الزخارف الهندسية.، والزخارف النباتية فى الجزء المنسدل من الأكمام. فتحة الرقبة ضيقة ولها جيب قصير. ينسدل القميص باتساع من أسفل. من القرن (١٨م).
(محفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن)

كسرة من طبق تحمل رسم سيدة تمسك كأسا وقارورة.

والشكل يبين الزى من أعلى وكذلك غطاء الرأس وزينة السيدة.

obeikandi.com

سيدة مصرية بكامل ملابسها النموذجية داخل المنزل.

١ – قميص مفتوح عند الصدر ويظهر من تحت الأكمام.

٢ – يلك من قماش مقلم مفتوح عند الصدر والجزء الأسفل ويقفل بأزرار رفيقة متجاورة تحت الصدر مباشرة وأطول من السيدة بحوالى ١٠سم ذو أكمام طويلة مفتوحة عند المعصم وتصل إلى منتصف الساق.

٣ – جبة مفتوحة من الأمام أطول من اليلك بقليل ومفتوحة من الجانبين لها أكمام طويلة ضيقة.

٤ – سروال واسع طويل من نفس قماش ولون اليلك.

٥ – حزام حول الوسط مطرز ومربوط بطريقة فنية جميلة كما هو واضح فى الصورة.

٦ – تظهر خصلتان من الشعر على الصدغين ويجمع الشعر بعصبة تلقى فوقها طرحة بيضاء مطرزة على طرفها وتصل إلى ما بعد الفخذين.

٧ – تلبس فى قدمها البابوج ذا المقدمة الملتوية إلى أعلى.

obeikandl.com

إلى اليمين:

ملابس العثمانيات داخل المنزل فى أواخر القرن الثامن عشر وفى أوائل القرن التاسع عشر.

إلى اليسار:

ملابس العثمانيات خارج المنزل فى أواخر القرن الثامن عشر وفى أوائل القرن التاسع عشر.

منمنمة من مخطوطة من كتاب المهرجان (سيرنامة) تمثل سيدة تمسك بيدها زهرة. تلبس على رأسها عصبة مزينة بالآلئ والأحجار الكريمة. وترتدى القميص الشفاف، والسروال المخطط، واليلك المزخرف بزخارف نباتية مطرزة بخيوط الحرير. الحزام مزخرف بزخارف هندسية وينتهى بقطع من الفضة القرن (١٨م).

من عمل الفنان لونى (محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول).

أما كلوت بك «فيقول عن القميص: إنها صنعت من الحرير الموسلين أو القماش الرقيق (السلك) أو الكريب أو الأنسجة الثمينة الأخرى. ويكون إما أبيض، وإما على ألوان كالوردى أو البنفسجى، أو الأصفر الباهت، والأزرق السماوى، وأحيانا كانت من اللون الأسود.

كما قال آخرون فى وصف القميص، فيقول دارفيو عن نساء الشام «وكانت الشام جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، إن السيدات يرتدين سراويل طويلة مثل الرجال، ويلبسن فوقها قميصا طويلا عريضا من الشاش الموصلى المخطط، ومن نسيج آخر، لا يختلف فى شىء عن نسيج أقمشة قمصان الرجال.

ويقول بيترو - فى رحلته إلى تركيا: «إن قمصان النساء فى بغداد كانت فى العادة من الحرير الملون، وكانت لها أكمام مفرطة فى السعة والطول.

كما ذكر دوزى أزياء النساء الفارسيات - أن القميص المسمى "Camis" مفتوح من الأمام حتى سرة «البطن».

لذلك يمكن القول: إن **القميص** - يُعتبر من الملابس الداخلية الأساسية التى ارتدتها نساء هذا العصر، وكانت تظهر من خلال الملابس الخارجية - وكان القميص واسعا جدا. وكان طولها يصل أحيانا إلى الركبة، وأحيانا يرتفع عنها بعض الشىء ليُغطى الجزء الأعلى من اللباس فقط (حيث إن طول القميص يتفاوت بين الطويل والقصير). كما كان له أكمام واسعة جدا - أما الألوان فقد كانت تستخدم جميعها فى صنع القمصان ابتداء من اللون الأبيض ثم الألوان الساطعة إلى اللون الأسود. وهذه القمصان صُنعت من الأقمشة الثمينة وتطريزها بشتى الأشكال لسيدات الطبقة الغنية. بينما استخدمت الطبقات الأخرى الأقمشة القطنية والتيلية.

٣ - اللباس :

كانت تلبس تحت القمصان ألبسة بيضاء، صنعت من التيل أو الحرير أو الموسلين وذلك لستر الجزء الداخلى الأسفل من الجسم. وكان يُلبس فوق الألبسة - **السراويل الواسعة الطويلة** التى جلبها معهم المماليك حيث كانت موجودة فى آسيا الصغرى. فى أواسط القرن الرابع عشر، كشعار لنظمة «الفتيان» التى كانت منتشرة فى هذه البلاد وتُعرف «بالآخية». وهذه الجماعة كانت تشبه جماعة الكشّافة فى العصر الحاضر.

وكانت السراويل عندهم رمزا لما يأخذون به أنفسهم من الصيانة والعفة كما ذكر ذلك ابن بطوطة فى رحلته الكبرى.

واستمر لبس هذه السراويل بين الرجال والنساء حتى أواخر القرن الثامن عشر حيث تبدل اسمها إلى الشنتيان.

الملابس الخارجية :

١ - الشنتيان "Chentyân"

وفي وصفها يقول «لين» إن نساء تلك الفترة لبسن تحت القمصان «بنطلونات» واسعة تسمى «شنتيان» وكان يُزخرف على جانبيه بشريط من الحرير أو القطن أو الموسلين إما بلون مخالف أو مطرز.

صورة لسيدة في المنزل، تمسك المغزل. وتلبس على رأسها (الكيسلير)، وترتدى القميص، أما الرداء الخارجي فيصل إلى ما قبل العقبين. الحزام أسفل الصدر ويتدلى إلى ما قبل نهاية الرداء بقليل، الصديري يصل إلى الأرداف.

من مخطوطة رقم ١١ مؤرخة سنة ١١٥٨هـ – ١٧٤٤م من عمل الفنان عبد الله البخارى.

(محفوظة بمكتبة جامعة أسطنبول)

وكان الجزء الأسفل منه يُربط تحت الركبة بشرائط مطرزة أيضا، وما يتبقى من الطول بعد ذلك كان يكفي ليصل تحت القدم، وأحيانا تحت الأرض.

أما كلوت بك، فأضاف أنه صنع من قماش عريض، ويُربط من أسفل الساق، ويهبط من موضع ربطه سابلا إلى القدمين فيكون أشبه «بالجونلة».

وكلاهما قال: إنه يُناط بالخصر بواسطة تكّة تمر فى باكية بأعلاه، ولكنهما لم يذكرا فخامة تلك التكّة، بعكس ما ذكر أيام المماليك، من أنها كانت فاخرة، وغالية الثمن، وكانت من شريط مزخرف ملون يضم به السروال من عند الوسط.

وبقدر ما يشك المؤرخون فى انتشار السراويل بين جميع الطبقات فى عصر المماليك، وإنما لم تُلبس إلا عندما قصرت القمصان ووصلت إلى الركبة، نجد الجميع هنا يؤكدون لبس النساء للشنتيان فى الفترة الأخيرة من القرن الثامن عشر، وأنها كانت واسعة وطويلة، بل إن طولها كان يزيد عن طول السيدة بضعف مقدار انسدالها بعد ربطها أسفل الساق، أو تحت الركبة، وإنها كانت تمسك وتثبت حول الوسط بواسطة التكّة.

ولم يُذكَر شيء عن أنواع الأقمشة المستخدمة ولكنها غالبا ما كانت تختلف باختلاف طبقات النساء فتستخدم المغنيات الحرير والموسلين، بينما العاديات ممن ينتمين إلى الطبقة المتوسطة أو الفقيرة يستخدمن التيل أو القطن، وغالبا ما كانت تصنع من القماش الحرير المقلّم.

أما الألوان، فلعل ميل نساء ذلك العصر للألوان الناصعة المختلفة يدل على أنهن استخدمنها فى صنع الشنتيان، كما استخدمنها فى صنع القميص واليلك.

ولا يمكن الجزم بتحديد الفترة التى أطلق فيها اسم «شنتيان» على السروال وربما أطلقه الفرنسيون على السروال الواسع الملون الذى لبس فوق السروال الداخلى الأبيض القطنى، وذلك للتفرقة بين الاثنين، لأنه من الواضح لبس اللباس الداخلى، ولبس اللباس الخارجى الذى يُضم عند الركبة أو من عند القدم.

٢ - **اليلك** "Yelek" :

قال عنه «لين» إنه زى واسع من نفس قماش القميص، أى من القطن أو التيل. وكان بمثابة القفطان عند الرجال، وإن كان يلتصق فى الجسد أكثر منه، وتضغط على الذراعين ضغطا شديدا. ويمتاز بأكمامه الطويلة، ويُزرر من الأمام من الصدر حتى الوسط بدلا من تركه واسعا. واليلك يفصل بشكل يسمح بكشف نصف الصدر الذى يكون مغطى بالقميص، وكثير من النساء يلبسنه أوسع فى هذا الجزء من الجسم. كما امتاز بفتحتيه الجانبيتين اللتين تبدآن من الخصرين إلى أسفل حيث يلامس الأرض فى طوله أو أكثر.

وقال كلوت بك: إن أكمام اليلك تلاصق الذراعين حتى الكوع، ثم يذهبان فى الاتساع شيئا فشيئا ويهبطان حتى يُعادلان أسفل الثوب، وقد ينتهيان عند المعصمين. وأكبر مثل على ذلك، اليلك الطويل الذى تلبسه الراقصة الأمامية المبين فى الصورة من رسم «لونى» ويلاحظ أنه مصنوع من نفس قماش الشنتيان دون القميص.

وقال دوزى: إن اليلك كلمة تركية الأصل، ويُلبس فوق الصديرى (أى القميص).

ويمكن القول بأن نساء تلك الفترة قد شغفن بالملابس المفتوحة من الأمام والتى تظهر مفاتن الجسم فى نفس الوقت، فلبس هذا الثوب المفتوح عند الصدر والتى يضغط من تحته حتى الحرقنتن بواسطة الأزرار المتتابعة، وهى البدعة الجديدة فى أزياء النساء، ثم ينسدل بعد ذلك مفتوحا من الأمام والجانبين حتى يَظهَر ما يلبس تحته، ويعتبر هذا الثوب من أجمل ما لبس فى هذا العصر.

إلى اليسار:
راقصتان مصريتان ترتدى إحداهما اليلك القصير الذى كان يطلق عليه العنترى.
أما باقى الملابس فتشبه ملابس السيدات داخل المنزل.

إلى اليمين:
راقصة ترتدى الثياب التى تكشف عن الصدر — ومضمومة من تحت الوسط بحزام مزخرف على شكل مثلث من الأمام بطريقة لطيفة، وتضع على رأسها طاقية ملفوف عليها عصابة ومزينة بشرائط تتدلى منها الطرحة وترتدى صندلا بسيطا فى قدميها.

obeikandi.com

٣ – العنترى Antaree أو الأنتارى :

جاء ذكره فى كتاب «لين» حيث قال عنه : إنه فستان قصير، يصل إلى ما تحت الوسط بقليل أى إنه عبارة عن اليلك بدون جزئه الأسفل، إذن فهو عبارة عن جاكيت قصير – (فوق الرُكبَ بشبرين تقريبا). وقال إنه مصنوع من أقمشة حريرية أو قطنية مقلمة أو من قماش الموسلين المطرز، كما يُفصّل أحيانا من قماش أبيض اللون، يصل طوله إلى ما بعد الخصر بقليل.

ويفصل العَنترى بحيث يضيق عند الصدر، ولاسيما أنه لا يزرر إلا تحت الثديين، فيكشف بهذه الكيفية عن الصدر، ويُبرز النهدين، ولكن كثيرا من السيدات يفضلن العنترى فضفاضا بُغية الاحتشام، وعدم إظهار تفاصيل أجسامهن أكثر من اللازم، ويصل إلى ما تحت الوسط وبأكمام قصيرة يظهر منها أكمام القميص، متخذا هيئة الجاكت القصير.

ويقول عنه «دوزى»: إنه من الملابس التركية التى استعملتها الطبقة العليا، وانتشر بينهن ويسمى بالتركية «الأنطارى»، وهو يشبه القميص القصير المفتوح من الأمام، والمحلى بالزخرفة، والمبطن بالتيل.

وعلى ذلك لم يكن العنترى منتشرا بين عامة الشعب، بل إن أغلب السيدات كن يُفضلن لبس اليلك وكان يُصنع من الحرير أو القطن أو الموسلين، إما مقلما أو من عدة ألوان، ويُفضل اللون الأبيض، وكان بأكمام طويلة، مفتوحا عند الكوعين، وكان واسعا، ويُلبس دائما فوق القميص.

أما اسم «العنترى» فمازال حتى اليوم يُطلق على الصديرى الذى يُلبس تحت الجلباب الرجالى فى بعض قرى الريف المصرى، إذا صنعت له أكمام تشبه أكمام القفطان.

أما بالنسبة لملابس السيدات فلم يعد يطلق على شىء منها إلا ما يسمى بالجيليه الحديث حاليا، وهو كان جزءا من ملابس الرجال، ثم أخذته بعض السيدات تقليدا للرجال، وطرزته، حتى إن بعض الرجال مازالوا متمسكين بالاسم.

٤ – الحزام :

من القطع التى كانت تحتل مكانه هامة فى ملابس السيدات فى العصر العثمانى هى الحزام، ويكاد لا يخلو أى ملبس منه.

وكان إذا لبست السيدات اليلك أو العنترى، يَلففن حول وسطهن شالا مربعا أو منديلا مطرزا يُثنى بحيث يصير مثلثا، وكان ركناه يتدليان من الخلف. بينما طرفاه مربوطان وهنك طرق مختلفة لربط الحزام.

منمنمة من مخطوطة من كتاب المهرجان (سيرنامة) تمثل راقصة تضع على رأسها غطاء رأس تبرز منه ثمان ريشات من الذهب. وترتدى الملابس الملونة باللون الأحمر والأبيض فى خطوط رأسية، والبلك من اللون البنى به زخارف نباتية غاية فى الدقة والجمال. وتلبس فى قدميها البابوش. وفى يديها (طقطقات) تحدث بها صوتا توقيعيا أثناء الرقص. من القرن (١٨م) من عمل الفنان لونى ونرى توقيعه أسفل فى الصورة فى شكل بيضى صغير يخرج منه فرع نباتى ينتهى برسم زهرة. المخطوطة رقم ١٧.

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول).

العنترى: عبارة عن رداء من العصر العثمانى من قماش الموسلين الرقيق مزخرف بالتطريز (الأوية)

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

obeikandl.com

صورة لسيدة تلبس على رأسها طرحة من القماش الموسلين الأبيض الرقيق تنسدل إلى الوراء وأطرافها مزينة بالعملات والشراريب. وترتدى قميصا أبيض اللون مزخرفا بأشكال الدوائر الصغيرة جدا تظهر فى شكل نقط، ويزين نهاية القميص بالآلىء. وأكمام القميص واسعة وطويلة. ويضم الوسط بحزام من الأسلاك الفضية. الأنطارى مزخرف بالورود وأوراق الشجر. أما الأكمام فقصيرة ويظهر منها أكمام القميص.

صورة لسيدتين عثمانيتين: إلى اليمين سيدة تلبس (الهوتوز) المحلى بالفرو وترتدى قميصا أسود بأكمام طويلة، وفوقه ثوب مزخرف، وترتدى عنتريا من القماش المربعات بألوان مختلفة، الأكمام تصل إلى الكوع ويظهر منها أكمام القميص.
إلى اليسار سيدة تلبس على رأسها (الهوتوز)، وترتدى قميصا أبيض، وفوقه ثوب واسع به زخارف فى خطوط رأسية، ويضم الوسط بحزام، ويبدو الثوب واسعا، وترتدى العنترى أبيض يصل إلى ما بعد الوسط، الأكمام طويلة وواسعة، وأطرافه مطرزة بلون قاتم.

وقد قال «كلوت بك» إنه شال كشميرى، أو مربع من الحرير، وإنه يُطوى على اتجاه أحد القطرين، ثم يوضع على أسفل البطن، وتبقى زاوية من زواياه خلف الجسم، ثم يُعاد بطرفيه إلى الأمام حيث يثبتان بعقدة أو مشبك، وبهذه الطريقة يكون الحزام المحيط بالجسم غير ضاغط فى أى جزء من الأجزاء التى يلامسها بحيث يكون مكانه أسفل الوسط من الأمام بقليل.

وتشير كلمة حزام فى مصر إلى الزنار الذى تشده النساء فوق اليلك أو العنترى.

ويصف الكونت دى شابرول زى النساء: «الحزام يكون فى الصيف من الحرير أو من الموصلى، ويكون فى الشتاء من شال من الصوف الكشميرى.

وهو بهذا يشبه ما كان يلفه الرجال حول القفطان ومازال رجال الدين يستخدمونه من قماش حريرى مقلم فى الغالب أو مزخرف فى بعض الأحيان.

وقد استعملته النساء مبالغة فى إظهار مفاتن أجسامهن أو تقليد أحزمة الراقصات فى ذلك، والتى تستخدم حتى الآن فى الرقص البلدى، ولكنهن استخدمنه بطريقة أكثر تهذيبا وجمالا، ويبدو أن استخدام النساء للحزام عادة وافدة من البلاد المجاورة، حيث ذكر ابن بطوطة فى رحلته الكبرى «إنه شاهد جوارى فارس الجميلات يستخدمن حول وسطهن منديلا حريريا».

وربما كان ذلك من بين ما نقله المماليك والجوارى المجلوبين إلى مصر من هذه البلاد، وأعجبت به المصريات فقلدنهن فى لبسه.

وتكون الأحزمة أحيانا بطول يصل من أسفل الصدر إلى منتصف الساق، وهذه الأحزمة هى التى يقصدها «دوزى» حينما قال: وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت أخرى حيث تُصنع الحزم الحريرية والصوفية التى تستعملها النساء. وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنبّ ومزودة فى نهايتها بأرمال طويلة للغاية. وهى تبرم مرتين على الجسم فتتدلى الأرمال من الجهة الأمامية، وهى زينة عظيمة للنساء. وهذه الأحزمة تنتهى بشراريب.

٥ - الجبة "Gibbah" :

مبالغة فى تقليد النساء للرجال وزيادة فى التشبه بهم، لبست المرأة الجبة، وكانت تُتخذ أحيانا من الأقمشة العادية، ولكنها فى الغالب كانت تُتخذ من المخمل أو القطيفة أو الحرير، وكانت دائما مطرزة بالذهب أو بخيوط الحرير الملوّن، وتختلف عن جبة الرجال فى قلّة اتساعها وخصوصا فى الجزء الأعلى الذى حَرَصتْ السيدات على إبراز مفاتنه. وكانت تُلبس فوق اليلك وبنفس طوله، وهذا ما قاله عنها «لين» فى وصف لها. ومعنى ذلك أنها تلامس الأرض.

صـورة لسيدتين إحداهمـا جالسـة وتلبـس علـى رأسـها الطربوش — وترتدى القميـص والسروال واليلك والجبـة. والأخـرى واقفـة تلبـس علـى رأسـها (الكيسـلير) بأسـلوب (الشانتمانى)، وترتدى القميص والسروال واليلك والحزام والجبة. وفى أقدامها البابوش.

مـن مخطوطـة رقـم ٢٢ مؤرخـة سـنة ١١٥٨هـ — ١٧٤٤ م مـن عمل الفنان عبد الله البخارى.

(محفوظة بمكتب جامعة اسطنبول)

صورة لسيدة وعلى رأسها عمامة مرتفعة جـدا، وترتـدى قميصا أبيض وسروالا واسعا من القماش المنقط يصل إلى القدمين، وترتـدى اليلك مـن اللون القاتم يقفل بأزرار مـن أسفل الصدر إلى الوسط، ويضم الوسـط بحزام أسود ينتـهى بقطع من الفضـة (كيمو توكاسى) (Kemer Tokasi). وترتدى فوق هذه الملابس الجبة ذات اللونين الأبيض والأسود بأكمام قصيرة وضيقة حول الذراع ويظهر منـها أكمام اليلك. من عمل الفنان الأرمينى رافائيل. القرن (١٧م)

(محفوظة بمتحف طوبقابو سارى باسطنبول تحت مادة التاريخ رقم ٢١٤٣).

منمنمة من مخطوطة من كتاب المهرجان (سيرنامة) تمثل سيدة ممتلئة الجسم، وعلى رأسها عصبة محلاة باللآلئ والأحجار الكريمة مربوطة ومنسدلة من جانب واحد. وترتدى القميص الأبيض والسروال المخطط واليلك وجهه به زخارف مطرزة وظهره من القماش السادة. الحزام مطرز بخيوط الفضة وينتهى بقطع من الفضة. (من القرن ١٨م) من عمل الفنان لونى.

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

صورة توضح جلسة خاصة يظهر فيها الأمير ومعه شابة – ويلهو فى الحديقة وأمامه وصيفات الشرف، وإلى اليسار تجلس الموسيقيات وهن يرتدين القمصان والسراويل والجبب بأكمام قصيرة يظهر منها القمصان. مؤرخة سنة ١٧١٠.

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول تحت رقم ٢١٦٠ مادة التاريخ)

صورة لسيدة تلبس الخمار – يظهر فى ملابسها التأثير الشرقى والغربى معًا.

القميص يصل إلى ما بعد الركبة بقليل وترتدى فوقه رداء مزركشا بالزخارف الدقيقة فى خطوط أفقية، وتضع على كتفيها (البلكا). وتلبس فى قدميها (الشرابلار) الجورب الأسود المزركش باللون الأبيض وتلبس فوقه الحذاء ذا الرقبة. أوائل القرن التاسع عشر الميلادى.

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول تحت مادة التاريخ رقم ٢١٤٣)

أما «كلوت بك» فقال: إنها صنعت من الجوخ فى فصل الشتاء، وأن كُميها كانا ينهيان عند الكوع ويبدو أن هذا الوصف صحيح، لأن كم «اليلك» كان ضيقا حتى الكوع، ثم ينسدل باتساع وكذلك يظهر من تحت كم الجبّة بألوان زاهية. كما كان كم اليلك ضيقا حتى الرسغ فى بعض الأحيان، ويظهر جزء كبير منه تحت كم الجبّة.

وكانت الجبّة تقوَّر من أعلى، ولا تُلقَى حافتاها فوق الصدر، ولذا تبقى مفتوحة على الدوام وتكون إما ساذجة بسيطة، وإما مشغولة بالتطريز، ويدل ذلك على أن الجبة، تُعتبر من الملابس

الرئيسية للمرأة فى العصر العثمانى. ولذا كانت شائعة الاستعمال بين جميع الطبقات سواء من الأقمشة العادية أم الأقمشة الفاخرة النفيسة، وتعددت أشكالها من حيث القماش والطول والاتساع وطول الأكمام وعرضها.

وفى وصف للكونت دى شابرون: الجبة رداء يسبل على ثياب أخرى، والجبة تلبس فى الصيف والشتاء باستخدام الجوخ والقطيفة وتُبطن أردانها بالفراء شتاءً، بينما استخدمت الأقمشة الأخرى فى فصل الصيف مثل الحرير.

كذلك كانت غالبية النساء يُطرزنها حتى يظهر الفرق واضحا بينها وبين جبة الرجل.

وفى أواخر القرن الثامن عشر تؤكد المراجع بأن النساء تمسكن بلبس الجبة وزدن فى تجميلها وتنميقها حتى إنهن استعضن عنها فى بعض الأحيان - حبا فى الاستبدال والتغيير- بجاكيت قصير تسمى «سَلْطَة Saltah»، واستخدمن لها القماش العادى والقماش القطيفة المطرزة بنفس طريقة الجبّة، أى أن ما لبس من الجُبَبَ القصيرة والتى كانت أقصر من اليلك أطلق عليها «سَلْطة» كما أن هناك نوعا آخر من الجُبَبَ يخالف الأنواع السابقة، فكانت الجبّة من قماش الديباج تنسدل على الأقدام، متوسطة الاتساع، أما الزخارف فقوامها أشرطة رأسيه بها زخارف دقيقة جدا، أما الأكمام فزخارفها عرضية، والجبة مفتوحة من الأمام، ولها ياقة رفيعة مرتفعة إلى أعلى مثل الأكوال المستخدمة هذه الأيام وتسمى كول «أوفيسيى» (Officler) لأنها تشبه كول الضباط. والكولة من القرن الثامن عشر الميلادى أيضا ومحفوظة فى متحف فيكتوريا والبرت بلندن. ويلاحظ أن نوع هذه الياقة فى الجبة مخالف لما وصفه المؤرخون والرحالة فى أن الجبة «محرومة من الياقة» وربما يكون ذلك بداية تطور طرأ عليها حتى وصلت إلى المعطف المعروف فى عصرنا الحديث.

٦- القلنسوة :

هى ما يلبس على الرأس فى المنزل، وهى عبارة عن طاقية حمراء صغيرة يلف حولها منديل أو أكثر من قماش الكريب أو حرير الموسلين الأبيض أو المرسوم أو المزركش بصنوف الزخرف فتبدو كالعمامة. وتشير كلمة طاقية فى مصر إلى نفس ما تشير إليه العراقية. وكان يرتديها أفراد الجنسين وفى التركية تسمى «هوتوز Hotoz».

ونساء الطبقة الغنية يتخذْنها مرصعة بالأحجار الكريمة، بعكس الطبقة الدنيا فقد اتخذنها من الذهب. وكانت هذه الطواقى من أجمل ما تلبسه المرأة فى تلك الفترة، فقد كانت كالتاج على رأسها، وخاصة إذا كان شعر المرأة ينسدل على الصدغين مجعدا فى شكل حلقات قريبا

مما تفعله الفتيات اليوم. كما كانت بعض السيدات يستخدمن غطاءات بسيطة تغطى الشعر والوجه، أو تغطى الشعر فقط، وتجمع إلى الخلف. وتعتبر هذه الملابس التى ذكرت من القميص إلى القلنسوة هى ملابس خاصة بالمنزل، وهى فى غالبها تميل إلى الحشمة مع الاهتمام بزركشتها وتجميلها حتى تبدو المرأة فى منزلها فى صورة محببة تجذب انتباه الزوج وتستولى على قلبه من أقصر طريق، وكانت تنال اهتماما كبيرا وعناية فائقة، وإن كنا نلاحظ أنها لا تخلو من بعض التعقيد وكثرة القطع المتراكمة بعضها فوق بعض، مما يدل على أن الهدف لم يكن فقط مجرد اللبس أو الزينة، بل التباهى بالثراء وكثرة الملابس وتنوع أشكالها.

صورة من رودس أحد جزر البحر الأبيض المتوسط. وتظهر فيه ثلاث نساء.

إلى اليمين سيدة تلبس غطاء رأسى عبارة عن طاقية من الخيوط المتشابكة المزخرفة باللآلىء وترتدى ثوبا يصل إلى الأقدام — الصديرى يصل إلى الأرداف وأطرافه مزخرفة بالتطريز. وفى الوسط سيدة تلبس طاقية فى قمة الرأس يتدلى منها طرحة بيضاء ومزخرفة تنسدل إلى الوراء، وترتدى ثوبا وصل إلى ما قبل القدمين. الجبة بنفس طول واتساع الثوب. ومن نفس القماش أيضا.

إلى اليسار سيدة تلبس طاقية تنسدل منها طرحة وعليها عصبة مستطيلة مطرزة بألوان مختلفة، وترتدى ثوبا من القماش المخطط، ويضم الوسط بحزام مثلث الشكل، أما الأنطارى فمن قماش القطيفة الأسود بأكمام طويلة وأطراف الأنطارى مزخرفة.

فتاة مصرية تضع على رأسها العصبة المقلمة ذات ألوان مختلفة والتى تربط خلف الرأس بعقدة واحدة.

منديل الرأس

منديل مربع شفاف يغطى نصف الوجه الأسفل ويشبه إلى حد كبير بالیشمك التركى. (وهو ما كان يطلق عليه المقنعة).

ملابس الخروج :

عند خروج السيدات من منازلهن كن يلبسن ملابس تُغطى أجسامهن تماما، وتجعلهن أشبه بالراهبات يطلق عليها اسم «التزييرة Tazeereh» وهى مكونة من عدة قطع هى: الثوب أو السبلة، والبرقع، والعصبة والحبرة.

١ - الثوب Tob أو السبلة Sableh :

رداء طويل واسع يسمى ثوبًا أو يسمى سبلة وهى تُغطى كافة الملابس ماعدا الحبرة. له أكمام واسعة مساوية فى اتساعها للثوب نفسه، وداخلة ضمن الاتساع الكلى له كما يقول «كلوت بك» بينما يقول عنها «لين» إنها تصنع من الحرير ذى اللون القانى أو الوردى أو اللون البنفسجى ويقول عنها «كلوت بك» إنها تصنع من الحرير الأسود. ومن المرجح أن الثوب كان يصنع من لون قاتم؛ فلما صنع من أقمشة ملونة لبُس تحت الحبرة، وسُمى بالسبلة، التى تعتبر الثوب الأول من الثياب التى تتألف منها التزييرة.

وقد اتفقا على أنها رداء واسع جدا يلبس فوق ملابس المنزل، فلا يُظهر ما تحته ويستره، سواء كان من قماش غال أم رخيص وسواء كان ملونا أم أسود.

أما «دوزى» فقد نقل عن «لين» أن الثوب هو الذى كان معروفا بالسبلة، ويُصنع من الحرير الأحمر القانى أو البنفسجى. ثم أضاف إلى ذلك أنه يُلبس فوق جميع الملابس، ولذلك كان متسعا جدا حتى يمكن أن يُلبس فوقها كلها.

وكانت السيدات تلبسنه عند الخروج لإتمام باقى التزييرة.

أما سيدات العوام فيلبسن الثوب، ولكن من الكتان وبألوان قاتمة، وكن يكتفين به فى بعض الأحيان ويُغطين رءوسهن بالطُرح، التى كانت أحيانا مطرزة وأحيانا أخرى مزخرفة برسوم بحيث تملأ هذه الرسوم أرضية الطرحة كلها، وفى بعض الأحيان كانت سوداء أو بيضاء مع اختلاف أنواع الأقمشة المستخدمة لهذا النوع من أغطية الرأس.

وكذلك قال «هورينمان» إن كلمة ثوب أطلقت على قميص آخر لونه أزرق أو أبيض.

فمما سبق يمكن القول بأن الثوب والسبلة كانا اسمين لشىء واحد أو لشيئين متشابهين تشابها كبيرا، وأنه كان أزرق أو أسود، فإذا صنع من قماش ملون لبست فوقه الحبرة.

ولكن الثوب أو السبلة كانت تُلبس تحته جميع الملابس الأخرى.

٢ - البرقع Barka :

هو قطعة قماش طويلة من حرير الموسلين الأبيض، يُغطى وجه المرأة كله ماعدا العينين، ويصل تقريبا إلى القدمين، ويثبت من قمته برباط رفيع محاك فى ركنى البرقع من أعلى بحيث يمر على جانبى الجبهة ويربط خلف الرأس.

وأحيانا كان يُستعمل البرقع الأسود، وتوضع عليه قطعة من الجواهر المزيفة أو من العملات الذهبية الصغيرة أو قطعة طويلة من الذهب تسمى «البرق bark» وتعرف هذه الماسورة الآن بالقصبة، كذلك استُعملت العملات الفضية الصغيرة فى تزيينه.

وهذا البرقع لا نزال نراه اليوم على الأعرابيات وسكان الصحراء والواحات، مع المبالغة فى تزيينه وتنميقه، ويتخذْنَه دائما من اللون الأسود، بل استخدمن له القماش السميك نوعا حتى لا يظهر ما تحته من تقاطيع وجه المرأة.

ولكن بنات البلد، أو بنات بحرى بالإسكندرية يلبسنه من الأنواع الشبكية الخفيفة المفتحة، فيزيد من جمال ما يظهره من تقاطيع وجوههن، كما يكون فيه بعض الدلال والتأنق.

٣ – العصبة "Asbah"

تلبس السيدة على رأسها عند الخروج أو فى المنزل العصبة، وهى عبارة عن قطعة مربعة من الحرير الأسود، وحروفها من اللون الأحمر أو الأصفر وتُربط حول الرأس.

والعصائب مصنوعة من الأقمشة المطرزة بألوان وزخارف مختلفة ذات أحجام متوسطة وعادة ما تكون مربعة الشكل. وكان هناك أنواع أخرى من العصائب توضع على الرأس وتربط حول العنق ومزينة بالعملات. وقد تكون من القماش القطنى الأبيض أو الأسود وتربطها السيدة بإحكام بعقدة من الخلف. وقد تنسدل العصبات المربعة على الكتفين والظهر، ومزينة بزخارف ملونة وأطرافها مشغولة (بالأوية).

وقد كانت العصائب أو الأحزمة مزينة أحيانا بقطع الذهب فى أطرافها – وهى عبارة عن أربطة الرأس وتسمى (شاتما) مطرزة بخيوط الحرير والذهب والزخارف غاية فى الدقة والجمال. وقد تُستعمل هذه الأربطة فى تثبيت الطرحة التى تنسدل خلف الرأس.

وتعتبر هذه العصبة بداية لما يُلبس الآن من مناديل الرأس التى تزيّن أحرفها بالأوية وشغل الإبرة بخيط من جميع الألوان. كما أنها شبيهة بالإيشاربات المربعة التى تزين حروفها بالقطع الذهبية والفضية أو الترتر والخرز، أو التطريز أو المطبوعات. وهذه المناديل ستبقى مدة طويلة لعدم الاستغناء عنها فى مختلف الأجواء وبين جميع الطبقات، مع إمكانية تطويرها لتلائم الوقت والمكان التى تستخدم فيهما.

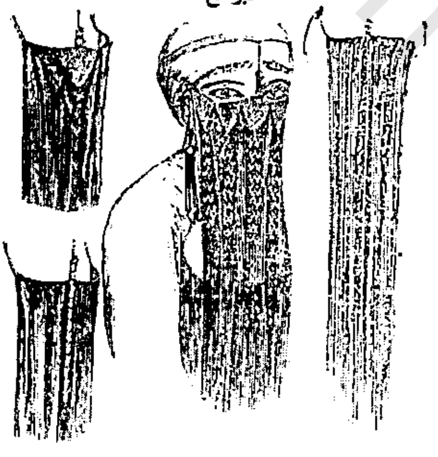

يظهر فى هذه البراقع الزخارف المختلفة النسيج. كما تظهر الحليات الذهبية الواضحة عليها وكيفية تثبيت البرقع حول الرأس وتركيب (القصبة) الذهبية فى وسط العينين.

سيدة مصرية تلبس العصبة على الرأس وفوقها الطرحة وتختفى بذلك ربطة البرقع.

إحدى النساء وعلى رأسها الطربوش وفوقه عصبة مثلثة الشكل تربطها حول عنقها لتثبيت الطربوش، وفوقها عصبة أخرى مربعة الشكل تنسدل على الكتفين والظهر ومزينة بزخارف ملونة. وأطرافها مشغولة (بالأوية).

إحدى النساء وعلى رأسها طاقية من قماش القطيفة ذات اللون البني، حولها عصبة باللون الأحمر والأخضر، ويتدلى من الطاقية شريط يلف حول الرقبة مزين بالمجوهرات واللآلىء والعملات الذهبية ويبدو وكأنه قلادة تنسدل على الصدر.

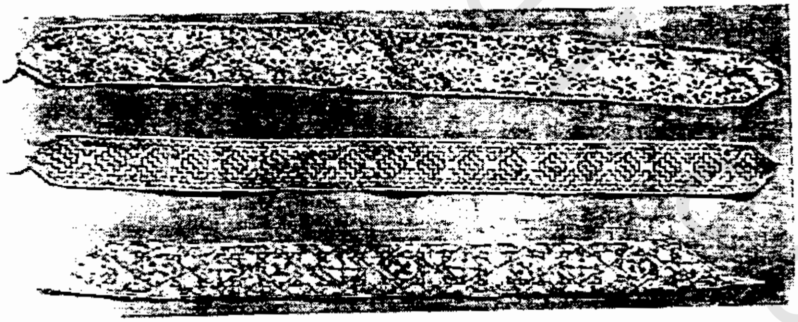

مجموعة من أربطة الرأس للنساء فى العصر العثمانى (شاتما) مطرزة بخيوط الحرير والذهب. وكانت تستخدم أيضا كأحزمة. وقد تستعمل فى تثبيت الطرحة، المنسدلة خلف الرأس

. (محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

٤ – الحبَرَة Habara:

قال عنها «لين» إنها تلبس فوق السبلة، وكانت بالنسبة للسيدة المتزوجة، تُصنع من الحرير الأسود اللامع، وتتكون من عرضين، كل عرض حوالى ٣ ياردات، يُحاك كل منهما بالآخر أفقيا، ثم يُحاك بها شريط أسود فى الجزء العلوى على بعد ٦ بوصات من منتصف حافتها العليا، ويُربط حول الرأس وأحيانا تحت الذقن من الأمام، حتى تثبت الحبرة على الرأس فلا تسقط.

أما الفتيات، فلبسنها من الحرير الأبيض، وفى بعض الأحيان اكتفين بشال طويل عوضا عنها..

أما الطبقات الوسطى التى لم تكن حالتهن الاقتصادية تسمح بلبس الحبرة، فلبسنَ بدلا منها الإزار "Eazar"، وهو قطعة من البفتة بنفس حجم وشكل الحبرة، ويُلبس بنفس الطريقة، وهو الذى كان يُستعمل من قبل أيام المماليك.

ومعنى ذلك أن الإزار هو نفس الحبرة إذا صنعت من قماش أقل قيمة، وتلبسها الطبقات المتوسطة والفقيرة.

وهذا يخالف ما قاله «كلوت بك»: إن المصريات يُغطين السبلة بإزار واسع جدا من الحرير التفتاه، ويُسمينه الحبرة، وهو يُغطى الجسم كله.

وبذلك فقد خلط بين الإزار والحبرة، فالإزار ما كان يُلبس قديما أثناء الخروج، وأصبح الآن للطبقات المتوسطة والفقيرة.

وأما الحبرة فهى المستخدمة من قماش غال نوعا، ولكن «كلوت بك» تحدث عن الطبقة الدنيا اللائى لا يستطعن اقتناء الحِبَر من الأقمشة الحريرية، فاتخذنها من نسيج الخيوط القطنية ذات الأرضية الزرقاء، وسمينه «الملاية». وذلك دون أن يذكر نوع الملابس التى تُلبس تحت الملاية، أو الخامات المستخدمة.

أما «لين» فذكرها بالتفصيل عندما قال: إن عددا من النساء العاديات تتكون ملابسهن من زوج من البنطلونات الشهيرة «بالشنتيان» وإن كانت من قماش أرخص مصنوع من القطن أو الكتان العادى، وقميص أزرق من نفس القماش، وبرقع من كريب أسود خشن، وطرحة لونها أزرق غامض من الموسلين أو الكتان.

وبعضهن ارتدين بدلا من الثوب أو الشابلة بنفس التفصيلة التى كانت تستخدم فى عمل أثواب السيدات الموسرات، ثم يلبسن فوقها قطعة من النسيج المخطط الخشن مشابهة للحبرة،

أو من القطن المنسوج على هيئة مربعات من الأزرق والأبيض أو من الخطوط المتداخلة والمتقاطعة في أطرافها باللون الأحمر والتى كانت تسمى ملاية "Nilayeh".

ويبدو أن استعمال الملاية كان مقصورا على الرجال ثم انتقل إلى النساء تشبها بهم. وقد جاء فى كتاب الأغانى: أن المغنية المشهورة «عزة الميلاء» كانت ترتدى الملاية متشبهة فى ذلك بالرجال.

١ — الحبرة وهى مضمومة وتخفى كل شىء تحتها.
٢ — طرحة ملفوفة على الوجه تشبه اليشمك.
٣ — السابلة المنسدلة تحت الحبرة حتى القدم.
٤ — نعل رقيق بالقدم.

سيدة ثرية بملابس الخروج

١ — برقع طويل إلى الأرض مطرز تحت العينين مباشرة.
٢ — حبرة من الحرير تكسو السيدة كلها.
٣ — جزء بسيط جدا يظهر من السابلة من تحت البرقع.
٤ — فى قدميها بابوج يرتفع بوزه إلى أعلى.

صورة لسيدتين من إحدى المدن الإسلامية في تركيا:
إلى اليمين سيدة تضع اليشمك الأسود على وجهها، من القماش القطني السميك بحيث يخفى الوجه تماما. وترتدى الحبرة البيضاء.
إلى اليسار غطاء الرأس (القرص) يتدلى منه السلاسل والعملات، وترتدى قميصا أبيض اللون، وترتدى فوقه ثوبا بلون قاتم يصل إلى الأقدام، ويضم الوسط بحزام، ثم ترتدى صدارا من القطيفة السوداء وله كنار أبيض مطرز، وتظهر أكمام القميص من أكمام الصدار.

صورة توضح ثلاث نساء عثمانيات:
إلى اليمين سيدة تلبس اليشمك الأبيض والتزييرة، وترتدى قميصا تظهر أكمامه من أكمام الحبرة، ثم ترتدى قميصا آخر من قماش الديباج يصل إلى الركبتين به زخارف نباتية، السروال ينسدل بنفس الإتساع من أعلى إلى أسفل، ويصل إلى الأقدام.
وفي الوسط غطاء الرأس (الهوتوز) الأبيض أطرافه مزخرفة ومطرزة وينسدل منها خيوط صوفية طويلة تنسدل على الأكتاف، الرداء بلون قاتم ومزخرف.
إلى اليسار سيدة ترتدى قميصا أبيض، ثم ترتدى بلكا أبيض ومزخرفا ومطرزا بزخارف بألوان مختلفة ويصل طول اليلك إلى الأقدام، يضم الوسط بحزام عريض، وترتدى جبة بلون قاتم بأكمام طويلة وواسعة وتظهر منها أكمام اليلك.

وينقل «دوزى» عن «لين» أن هناك نوعا من الملاية أكثر فخامة، وكانت تُصنع من الحرير المتعدد الألوان، ونادرا ما تُلبس اليوم، وهى تتألف من قطعتين مثل الحبرة.

كما لبستها سيدات الواحات والجزيرة العربية وسوريا. والملايا على أية حال تلبس بنفس طريقة الحبرة، ولكن أحيانا تلبس كما تلبس الطرحة حيث توضع على الرأس ثم تترك لتنسدل على الظهر حتى القدمين.

ولا يزال مثل هذه الملابس تستعملها بعض الأعرابيات فى الواحات، وبنفس طريقة لبس الطرحة، وتوجد منها نماذج بالمتحف الزراعى بالدقى.

ويقول «دوزى Dozy» عن الطرحة: إن طُرَح السيدات مصنوعة من الكتان والقطن، وينقل عن «لين» قوله - إن السيدات الغنيات لبسن على رءوسهن قطعا مستطيلة من الموسلين الأبيض، ومطرزة من جميع أطرافها بخيوط الحرير المذهبة أو قطع البرق. وعند انسدال الطرحة من الخلف تصل إلى الأرض.

أما النساء الفقيرات، فاكتفين بارتداء القميص الأزرق أو الثوب والطرحة، وكان هذا القميص واسعا جدا، وعريض الكمين، ويلبس تحته القميص الأبيض واللباس.

وبعد ذكر ملابس المرأة فى المنزل وملابسها المخصصة للخروج، يجب ذكر ملابس النوم التى ذكرها «دوزى» باسم **التخفيفة** وكانت تلبسها النساء بعد أن تتخفف مما عليها من ملابس عند النوم.

كذلك كانت تطلق على ما يلبسه الرجال عند العودة إلى منازلهم ويخلعون ملابسهم وعمائمهم ويلبسون الخفيف من الثياب.

ومن الأشياء الهامة التى استخدمت من قديم، ولازال لها أهميتها حتى الآن المناديل.

وقد جاء فى رحلة بن بطوطة ما يشير إلى استخدام النساء للمناديل من زمن بعيد إذ يقول عن إحدى السيدات: إنها بكت ومسحت على وجهها بالمناديل.

وقد جاء فى «وصف مصر» رسم جميل لمنديل مطرز يدل على عنايتهم به، واهتمامهم بتجميله منذ فترة طويلة كما فى الصورة.

كذلك كان هناك ملابس خاصة بالحمامات، وتصنع من الأقمشة الخفيفة المطرزة الجميلة، تلبسها السيدات بعد الخروج من الحمام حتى يصففن شعورهن ويضعن الكحل ويتزيّن، ثم يرتدين بعد ذلك ملابسهن المعتادة التى يلبسنها فى المنزل.

وبذلك تعددت أنواع ملابس السيدات تبعـا للطبقات الاجتماعيـة المختلفـة وتبعـا للأغـراض المستعملة فيها.

ولكن الجميع حَرَص على الاحتشام خارج المنزل سواء استعملن الحبرة أم المـلاءة أم الطرحـة والثوب فقط، بحيث كان المظهر الخـارجى للمـرأة يجعلـها داخـل قوقعـة مـن القمـاش الأسـود لا يكاد يراها أحد. ولا يظهر منها سوى عينيها لترى الطريق. فقد اتخذن من الطرحـة، غطـاء للرأس. وكان ذلك شأن جميع النساء ماعدا الفقيـرات منـهن فكـن يضعـن نقابـا علـى أنوفـهن، وأفواههن إما بضم طرف منها بين شفاههن، أو بواسطة أيديهن بحيث لا يتركن شيئا مكشوفا سوى عيونهن ليتمكنَّ من السير ومشاهدة معالم الطرقات.

امرأة من عامة الشعب

يلاحظ بوضوح السـروال مـن تحت ثـوب هـذه السيدة.

وكذلك قدماها العاريتان.

سيدات من عامة الشعب

يلاحـظ إرتـداء الثـوب الواسـع الطويـل المفتـوح عنـد الصدر ذى الأكمام الواسعة الطويلة.

يغطى الوجه برقع أسود سميك طويـل أو الطرحـة التى تسحب باليد لتغطى الأنف والذقن.

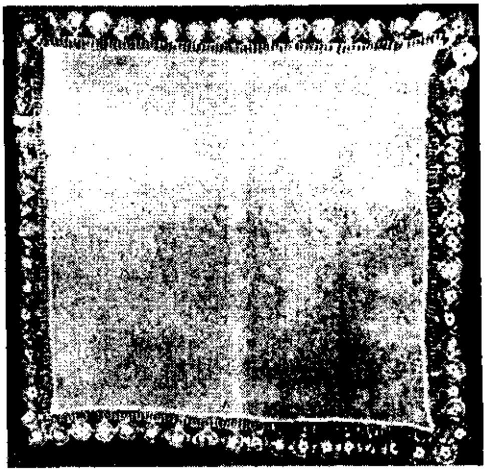

منديل يد للمرأة فى العصر العثمانى من القماش الموسلين الأبيض، الإطار مطرز (بالآجور) و (الأوية).

سيدة بملابس الحمام

سيدة ترتدى الثوب الخاص بالحمام وقد ازدانت حافتاه الأماميتان ببعض التطريز البسيط - وكذلك أطراف الأكمام.
أما نفس الرداء فمصنوع من القماش اللين ذى الخطوط الرفيعة. كما تلبس القبقاب الخشب الخاص بالحمام ذو الكعب المرتفع.

obeikandl.com

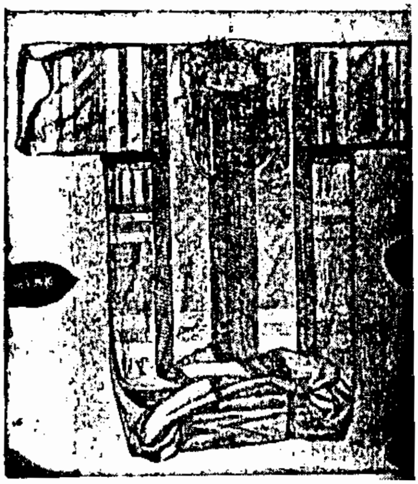

نموذج لنفس الرداء فى الصورة السابقة
(لزى الحمام)

مغنية شعبية

١ — سيدة تلبس رداء واسعا من اللاميه الأحمر المقلم وتلف عليه حزاما حريريا أبيض مربعا مزينة أطرافه بشراريب.

٢ — تغطى وجهها بنقاب أبيض قصير.

٣ — تلقى على رأسها ملاءة ذات مربعات صغيرة. وهذا النوع لا يحتاج للخياطة.

٤ — تمسك طبلة تحت يدها اليسرى مما جعلنا نعتقد أنها إحدى المغنيات الشعبيات فى أواخر القرن الثامن عشر.

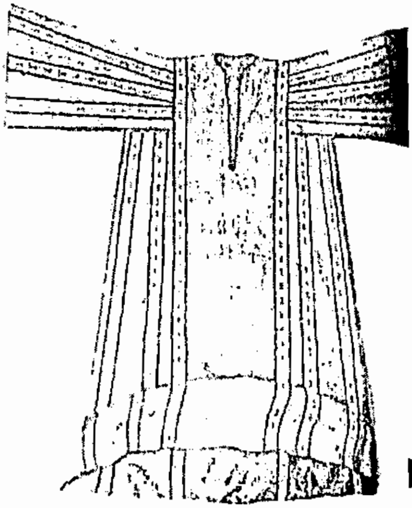

١ — جلباب ينساب باتساع بسيط عند الذيل.

٢ — ويزين بشرائط طولية من الأمام والخلف وعلى الأكمام.

٣ — ترتدى مثل هذا الجلباب السيدات اللائى لا يتقيدن كثيرا بتقاليد المجتمع من حيث لبس المرأة عند الخروج فى ذلك الزمان.

obeikandl.com

كما استخدمن نسيجا سميكا لغطاء رءوسهن، وهذا هو ما تلبسه سيدات الريف المصرى عندما يخرجن من منازلهن.

وحيث إن الثياب كثيرة العدد فيجب الإشارة إلى حائكى هذه الثياب فى هذه الفترة.

يقول «كلوت بك»: إن الخياطين كانوا كثيرى العدد بالقاهرة، ويقومون بخياطة ثياب الأهالى من أبناء البلد، وقد يقومون أحيانا بخياطة ملابس السيدات.

كما كان يوجد أيضا خياطون من اليونان والأرمن يُهيئون ملابس أفراد الطبقة العليا، ولا سيما العثمانيين منهن، وهم بارعون فى صناعتهم، ولهم دراية تامة فى تكليف الثياب بالقيطان الحريرى أو الذهبى يُنمقون به أشكالا تطريزية جميلة، ورسوما غاية فى الحسن.

كما أن هناك بعض القطع التى لا تحتاج إلى الخياطين مثل البراقع والطرح والملاءات، فكانت تُشترى بالقطعة وتلبس مباشرة دون الحاجة إلى حياكتها.

وكثير من السيدات كن يُتقن فن الحياكة والتطريز، ويقمن بعمل ملابسهن، وملابس أسرهن بالمنازل شأنهن شأن باقى السيدات فى جميع العصور، وخاصة أن المرأة كان لديها من الوقت ما يكفى لعمل ما تريد على عكس ما يحدث فى الوقت الحاضر، من انشغال المرأة فى عملها خارج المنزل، مما جعلها مشغولة عن عمل أى شيء إضافى داخل المنزل، مما أتاح الفرصة أمام الكثير من الرجال والسيدات لاحتراف خياطة ملابس النساء، ولاسيما العاملات منهن، ووجدن فى ذلك ربحا وفيرا للتغير السريع فى «الموضات» والأشكال من موسم إلى موسم ومن عام إلى عام.

الفصل الثالث

الملابس كما سجلها رجال الحملة الفرنسية

من أحسن الآثار العلمية التى قدمها علماء الحملة الفرنسية للعلم والتاريخ كتابهم العظيم وصف مصر. "Deseviphion De L'Egypte".

ويحتوى على مجموعة أبحاثهم ومذكراتهم، ورسومهم واكتشافهم فى خلال السنوات الثلاث التى قَضَوْها فى مصر، حتى ليعتبر دائرة معارف شاملة لمصر القديمة والحديثة حتى نهاية الحملة على مصر.

وقد بدأ العلماء جمع مواد هذا الكتاب فى أثناء إقامتهم فى مصر، ثم بدءوا بتبويبه منذ عودتهم إلى فرنسا، فأخذوا فى تنظيمه وتنقيحه، واستكمال مباحثه حتى أتموه فى نحو ١٧ عاما.

وبدأت تظهر أجزاء الكتاب تباعا من سنة ١٨٢٦م، ثم أعيد طبعه مرة ثانية من سنة ١٨٢٦ م حتى ١٨٢٩ م.

وبلغ عدد ما به من الخرائط والرسوم الصغيرة والكبيرة ثلاثة آلاف.

والكتاب مقسم إلى قسمين:

قسم خاص بالنصوص، وقسم خاص بالخرائط والرسوم التوضيحية.

ولا يسع المطلع على هذا الكتاب العظيم إلا أن يقر بمقدرة علماء الحملة الفرنسية فى استيعاب الحقائق العلمية، واستقصاء المشاهدات والمعلومات والبيانات الدقيقة والجلَد لإتمام عملهم الجليل.

ومن الموضوعات التى نالت عنايتهم، وتحدثوا عنها، ورسموا منها كثيرا من النماذج - الملابس المصرية، وخاصة ملابس السيدات وكذلك ملابس الرجال فى تلك الفترة.

والمطلع على ما كتبه رجال الحملة عن الملابس فى تلك الفترة التى قضوها بمصر، يجد تشابها كبيرا، وتأكيدًا واضحا لما ذكره المؤرخون عن ملابس تلك الفترة، وما سبقها بقليل وما بعدها بقليل، نتيجة للظواهر الاجتماعية، والعادات والتقاليد، ويصعب بل ربما يستحيل وضع فواصل زمانية أو مكانية محددة لها تمام التحديد. مما يدل على أن الملابس بقيت ثابتة كما هى منذ أمد بعيد، وغير متقدمة تقدما واضحا تبعا للتقدم الحضارى فى ذلك الوقت، وبعيدا إلى

حد ما عن التنويع والتغيير، علاوة على أنها كانت بعيدة كل البعد عن أذواق الفرنسيين في أزيائهم وملابسهم.

ومن أهم ما قالوه عن ملابس السيدات في تلك الفترة أنه كثيرا ما كانت السيدات يلبسن ملابس تنم عن الغنى واليسار، إلا أنها لم تكن تامة بالضبط على الجسم، ولا تدل على ذوق سليم في اختيار الملبس.

ولم يكن من اليسير الخروج عن العادات المألوفة في الملابس، بل لم تكن المرأة تشعر بشيء من الضيق بهذه الملابس المتعددة القطع التي كان يتحتم عليها أن تلبسها داخل المنزل فإذا خرجت من بيتها لبست فوقها الشيء الكثير دون ضيق أو ضجر، بل إن ذلك كان مدعاة للزهو والفخر والارتياح.

ومن الملابس التي تحدث عنها رجال الحملة. وحديثهم عنها يكاد يكون مطابقا لما تحدث به المؤرخون في الفصل السابق ما يأتي:

١ - **اللباس** - "Lebâs":

وهو سروال للصيف من التيل الخفيف «اللينو» أو من القطن وهو ما يُغطي الجزء الأسفل من الجسم، وسماه «شابرون» (شروال)، وقال عنه إنه لباس مملوكي مصنوع من الحرير.

وجاء في كتاب «دوزى»: إنه عند خروج السيدات، كُن يلبسن بنطلونات سراويل كتان، وكان واسعا وطويلا يصل إلى القدم، وكان يُلبس لأن القميص كان يصل إلى منتصف الساق فقط، كذلك وُجدت السراويل الضيقة ابتداء من منتصف القرن السابق، ويُعتقد أن الاثنين كانا يُستعملان.

وجاء في كتاب حكايات من المغرب لـ "Host" استعملت في مصر كلمة «لباس» لوصف السراويل. وتُستعمل الآن نفس الكلمة لإحدى قطع الملابس الداخلية.

٢ - **الشنتيان** "Chentyan":

وهو سروال للشتاء وأغلب الظن أنه صُنع من الصوف أو القطيفة، أو أنه كان أكثر طولا من السروال الصيفي، وكذلك فرقوا بينهما.

وهذا يُخالف ما سبق ذكره في الفصل السابق من أنه صنع من الحرير للطبقة الغنية، ومن القطن لطبقة الفقراء.

وعلاوة على هذا الاختلاف من حيث النسيج ومناسبة الفصول، والنواحي المادية، إلا أن النوعين كانا من القطع الهامة في ملابس المرأة. ومن المرجح أن المرأة الغنية استخدمت النوعين معا، فلبست السروال الداخلي من القطن أو التيل وفوقه الشنتيان الواسع الطويل من الحرير. أما المرأة المتوسطة، فقد استخدمت السروال والشنتيان من قماش واحد.

أما المرأة الفقيرة فقد اكتفت بسروال واحد طويل واسع من قماش قطنى رخيص تحت ملابسها الواسعة الطويلة.

٣ - القميص "Camys":

وهو قميص يُلبس تحت الملابس، وهو ما كان يُلبس تحت اليلك وفوق الشنتيان، ويظهر من فتحات اليلك عند الصدر ومن الفتحة الأمامية، ومن فتحة الأكمام أو من بداية اتساعها عند الكوع وليس هناك خلاف حول هذه القطعة إلا من حيث طولها، على النحو الذى وضع فى الفصل السابق.

٤ - اليلك "Yalak":

وهو فستان يُلبس فوق القميص، مفتوح من الأمام، وله أكمام طويلة، وضيقة أحيانا، وأحيانا أخرى تضيق حتى الكوع ثم تأخذ فى الاتساع بعد ذلك.

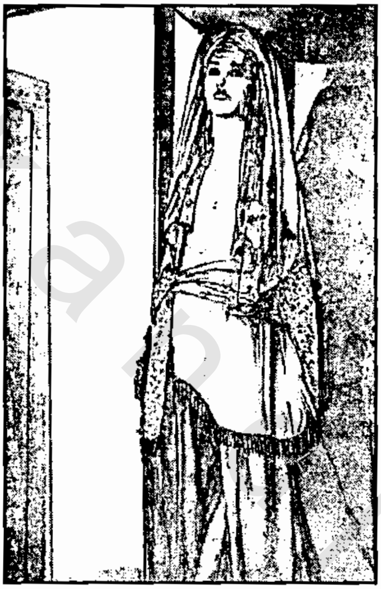

سيدة بملابس المنزل فى أوائل القرن التاسع عشر

هذه الصورة من معروضات متحف قصر المنيل - وتحتوى الملابس على:

١ - قطعة على الرأس ملفوفة بطريقة بسيطة وعليها طرحة قصيرة مطرزة.

٢ - قميص أبيض واسع ينسدل إلى ما فوق الركبة بقليل.

٣ - سروال واسع من القماش الساتان بلون ناصع.

٤ - حزام مزخرف يلف حول الوسط ويتدلى من على الجانب الأيمن.

٥ - يلك قصير - له كمان مفتوحان من أسفل - ويشبه إلى حد كبير (السلطة) وهى الجاكت القصير وذلك لعدم تلاقيه من الأمام بأزرار.

شكل يبين اليلك لسيدة مصرية بملابس المنزل سنة ١٨٠٠م. صورة نادرة تبين مدى التشابه بين الزى القديم والحديث.
ويلاحظ القميص ذو الكشكشة على الصدر والذى يظهر من فتحته اليلك من أعلى، كما يظهر من فتحة اليلك من أسفل على هيئة كسرات. يلاحظ انضمامه فى الجزء الأوسط فقط.

وهذا الاسم من أصل تركى، وقد ذكر «شابرون» فى مقال له فى كتاب «وصف مصر»: إن اليلك نوع من الصِّدار تلبسه نساء المماليك، وهو قصير، ولكنه فى الوقت نفسه فضفاض ذو أكمام طويلة متسعة كما هو واضح فى الشكل.

ثم يُضيف الكاتب: إن النساء يلبسن اليلك فوق القميص، وهو أشبه بصدار له فتحة أمامية وأكمام طويلة فضفاضة، ولكن الصور التى صورها له تدل على أنه منضم من تحت الصدر حتى الوسط، ثم يُترك مفتوحا بعد ذلك، وأن الأكمام طويلة، ولكنها واسعة، أو ضيقة عند الرسغ بحيث يظهر من تحتها جزء من القميص.

٥ - الفستان "Faustân":

وهو الفستان الذى كان يحل محل اليلك، ولكنه غير مفتوح من الأمام.

وهذا هو الجزء الهام الذى أدخلته السيدات الفرنسيات إلى مصر، وقلدتهن السيدات المصريات، ولبسنه مثلهن، وبقى اليلك مع هذا هو القطعة الأساسية فى ملابس السيدات داخل المنزل وإن كان بعضهن قد أدخلن عليه بعض التغييرات أو التطويرات البسيطة التى تجعله قريبا من الفستان الطويل.

٦ - الجبة "Gebbeh":

قالوا عنها: إنها كانت غالبا تستعملها السيدات المتقدمات فى السن، وكان لها أكمام ضيقة، وتبطن بالفراء، وخاصة فى الشتاء.

وعن الفراء يقول على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية: كثر استعمال الفراء، وكانت من أعز الأشياء مدة الترك فى دولة الجركس، وكان لها سوق خاص فى محل «التبليطة» من الغورية الآن وكان يباع فيه السمور والوشق والفاقم والسنجاب.

كذلك تحدث عنها «كلوت بك» فى لمحة عامة إلى مصر فقال:

إن القرائين بمصر من اليونان والأرمن، وعددهم قليل جدا، لأنه لا يلبس الفراء فى الأمة المصرية سوى طبقتى العظماء والعلماء.

وحيث إن الجبة قد لبسها الرجال والنساء فى مراحل العمر المختلفة، ومن أقمشة متنوعة وفى فصول العام الأربعة. ولكن الجديد هنا، أن النساء استخدمن الفراء فى صنعها وفى عمل بطانة لها، وهو شىء فريد فى ملابسهن، إذ لم يذكر من قبل استخدام الفراء فى ملابس المرأة كما ذكر استخدامه بكثرة فى ملابس الرجال من جميع الأشكال والأنواع.

ونقل «دوزى» فى قاموسه عن «يوركهات» فى رحلته إلى بلاد العرب، أنها كانت عبارة عن رداء خفيف، أو من الحرير الهندى، وكانت فى الجو الحار تُلبس على ملابس خفيفة، وأحيانا تُلبس الملابس الخفيفة بدونها، وربما كانت العباءة العربية الخفيفة التى يستعملها الرجال فى كثير من البلاد العربية حتى الآن صورة مشابهة لها.

وإذا كان رجال الحملة يقولون: إن لبس الجبة كان خاصا بالسيدات المتقدمات فى السن فسبب ذلك راجع إلى أنهم لم يشاهدوا نساء يرتدينها غير كبيرات السن، فى حين أن الصور التى نُقلت عنهم تدل على أن لبسها كان شائعا فى مختلف الأعمار.

٧ - الحزام "Hezam":

وهو حزام من الحرير أو الموسلين فى الصيف، أما فى الشتاء، فكان عبارة عن شال كبير من الكشمير، وفى كلتا الحالتين، كان ينسدل من الخلف على هيئة مثلث عند جلوس المرأة أو يُلف فى عدة أشكال جميلة. وهو يُعتبر من القطع الهامة فى ملابس المرأة فى هذه الفترة.

ولم يذكر شىء عن طريقة تثبيته حول الوسط أو عن طرفيه ومكان تلاقيهما، وقد عرفه المسلمون بهذا الاسم، أما قديما كان يُعرف باسم «زنار».

وقد كانت النساء العثمانيات الأثرياء يسبكنه من الأمام بمشبك. أما الأخريات فكن يعقدنه من الخلف، وعلى أية حال فقد كان يُثبت بطريقة فنية جميلة تختلف باختلاف ذوق لابسته.

٨ – الطاقية "Taqyeh":

هى غطاء الرأس، وكانت دائما فى تَغُّير مستمر، ولكنها سهلة اللبس، وكانت أحيانا تغطى أو تُستبدل بالطربوش "Tarbouch" الذى يُلف حوله قمطة "Gamtah" وهى قماش من الموسلين تعمل بها لفات متتالية حول الطربوش. وفى بعض الأحيان تتكون من جزءين أحدهما فوق الآخر، وكان الجزء الأسفل من الألوان القاتمة أو الحمراء. كما أطلقت كلمة رابطة "Rebtah" على كل ما يُلف حول رأس السيدة. ويُستدل على ذلك أن شعر المرأة كان يُغطى دائما بأى شيء حتى داخل المنزل.

سيدة متوسطة الحال بملابس المنزل

١ – ترتدى اليلك بفتحة صغيرة عند الصدر ويزرر فى الجزء الأسفل منها.

٢ – ترتدى فوقه صدار قصير مفتوح من الأمام.

٣ – تلف وسطها بحزام وتضع على رأسها ما يشبه العمامة وتلقى فوقها طرحة سميكة تصل للركبة.

٤ – تزين يدها وعنقها وأذنها بحلى من نوع واحد. وهذا يشبه أيضا الفستان الطويل.

سيدة ثرية بملابس المنزل

١ – اليلك الستان المقلم المفتوح عند الصدر والزى مفتوح من أسفل بحيث يظهر السروال من جانبيه وهو المصنوع من الستان السادة.

٢ – قميص أبيض مفتوح عند فتحة الصدر ويظهر كماه من تحت كمى اليلك.

٣ – ترتدى السيدة فوق اليلك حزاما أبيض من الحرير السادة معقودا على الجانب الأيمن ويتدلى طرفاه ويوجد بهما شراريب كما تمسك فى يدها مروحة جميلة. وهو يشبه الفستان الطويل.

وكانت السيدات الفقيرات بعيدات عن هذه الملابس الفخمة، وليس لديهن سوى السروال والقميص الأزرق، منسدلا بأكمام طويلة وواسعة وينسدل من الكتف للأرداف مع لبس (شاشيات، طرحات) على رءوسهن.

٩ - السبلة "Sableh":

وهو ما يلبس فوق جميع الملابس، وهو قميص كبير من التافتاه ويصل إلى كعب الحذاء وذلك عند ذهابهن للحمام، أو زيارة أقاربهن أو أصدقائهن.

وعند الطبقات العليا تُخلع عند الزيارة، ثم تُلبس ثانية عند الخروج، وذلك حتى تجلس السيدة مع مضيفاتها بنفس ما يرتدينه من الملابس، وليظهر ما تُخفيه السبلة من الثياب المزركشة، ذات الألوان الزاهية، وما تتزين به السيدة الزائرة من حلى وجواهر. وهذه القطعة تُعتبر امتدادا أو استمرارا لما كانت تلبسه المرأة أيام المماليك.

١٠ - الحبرة "Habarah":

تُصنع من التافتاه الأسود، وتُلقى على الرأس، وبها تُغطى المرأة شعرها وملابسها ويديها، وتخلعها كذلك عند الدخول فى أى منزل، وهذا كان شائعا بين مختلف الطبقات على حد سواء، ولكنها كانت قصيرة نوعا بالنسبة للسبلة، وبذلك كان لابد من لبس القطعتين معا، وخاصة عند الطبقات العليا، وخاصة عندما لونت السبلة.

١١ - البرقع "Borqa":

كانت السيدات يحجبن به وجوههن، وهو من الفوال أو من قماش محرم، ويُغطى الوجه من منبت الأنف، ويلتصق بالجبهة على الجانبين.

كما صنع من الموسلين أو التيل الأبيض الرقيق جدا، وكان عرضه بعرض الوجه، وطوله يصل للركبة، وهو من الأجزاء الضرورية التى لا تستغنى عنها المرأة عند الخروج وقيل عنه: إنه الطرحة التى تغطى من منتصف الأنف، وأحيانا تلف حول الوجه، وينسدل حتى الركبتين، ويكون من الموسلين أو التيل الأبيض الرقيق جدا، وقد يكون قصيرا بطول الوجه أو طويلا. وكانت ترتديه المرأة دائما عند الخروج من المنزل، وربما كان المقصود بهذا الحديث الكلام عن البرقع واليشمك، لأنه الذى يُغطى الوجه من منتصف الأنف ويبدو أن الأمر اختلط عليهم فسموه الطرحة، وربما كان المقصود اليشمك التركى.

ومعروف أن الطرحة تُلقى على الرأس فتغطيه، ثم تنسدل إلى أسفل.

ولازال هذا الاسم معروفا بهذا المعنى فى الأوساط الشعبية، وبعض قرى الريف المصرى.

١٢ - **التزييرة "Tazyreh":**

وكان يُطلق على ما كان يُلبس خارج المنزل، وهو السبلة، والحبرة، والبرقع، وهذه القطع الثلاث هى المكونة للتزييرة.

على أنه كانت هناك طبقة معينة من السيدات يلبسن عند خروجهن «الملاية» وهى قطعة من القماش القطنى المقلم باللونين الأزرق والأبيض، وطولها نحو ثمانية أقدام، وعرضها أربعة أقدام.

وكانت تلبس بدلا من الحبرة فوق باقى الملابس لتغطية السيدة من رأسها حتى قدميها.

كذلك وصف رجال الحملة العروس ليلة الزفاف.

فقالوا «تقضى يوما كاملا بالحمام العمومى، وتكون برفقة الأقارب والصديقات اللائى يشاركنها فرحتها، ويلففنها بطرحة كبيرة تختبئ بداخلها فلا يظهر شىء منها سوى رأسها المزين بالتاج، وتخرج من الحمام تتهادى على أنغام الموسيقى ورقص العالمة "d'elmeh"، وصوت المغنيين، وزغردة النساء مُشكّلين بذلك موكبا جميلا حول العروس.

ونلاحظ أن الملابس فى هذا الوقت لا تعدو مجموعتين: إحداهما ملابس منزل، والأخرى ملابس الخروج وخصوصا للطبقات الغنية.

فقد كانت ملابس المنزل لا تتجاوز القميص والسروال، والشنتيان واليلك والحزام والجبة والطاقية والعصابة والطرحة.

أما ملابس الخروج، فكانت هى نفس ملابس المنزل، ولكن يضاف إليها عند الخروج السابلة والبرقع والحبرة.

أما نساء الطبقة المتوسطة، فكن يلبسن الملاءة القطنية المقلمة، أو المربعات بدلا من الحبرة، وذلك لأنها أرخص ثمنا وأكثر تحملا، ثم تلبس البرقع الذى يُغطى الوجه.

كذلك كانت النساء من عامة الشعب يلبسن الأثواب الواسعة جدا، ذات الأكمام الواسعة أيضا والتى يصل طولها حتى الأرض، بحيث تُغطى أرجلهن سواء لبسن السراويل الطويلة أم لا.

ثم يُغطين رءوسهن بالطرح الثقيلة نوعا، والتى استخدمت بدلا من البرقع فى حالة عدم وجوده، أو عدم القدرة على شرائه، بحيث يسحبنها إلى الأمام ليُغطين بها الأنف.

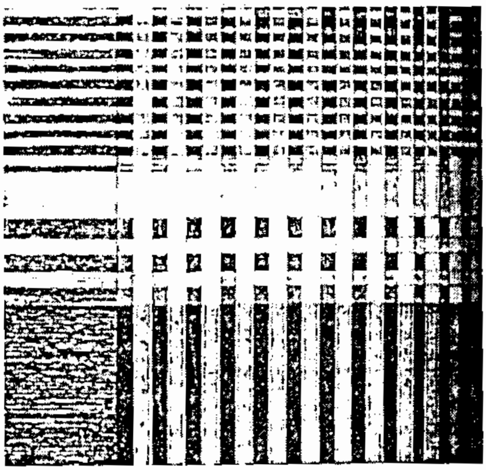

الصورة توضح شكل الملاءة.

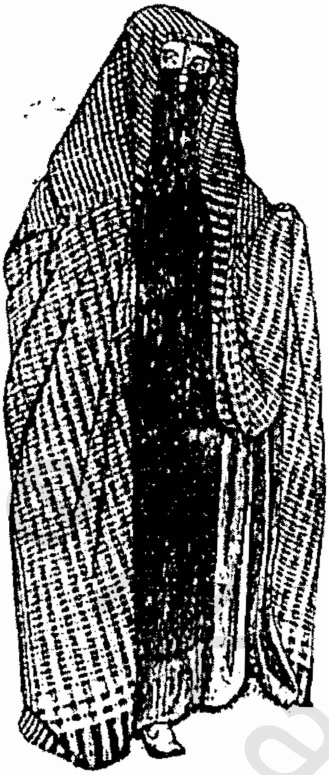

سيدة بملابس الخروج من عامة الشعب
يتكون الزى من:

١ – برقع أسود طويل من قماش سميك نوعا يحلى بين العينين بقصبة من الذهب ومن تحتها بعض القطع المستديرة من الذهب أو غيره.

٢ – ترتدى رداء السابلة الذى يغطى جسم السيدة كله.

٣ – تغطى شعرها بطرحة يظهر على جبينها جزء منها ثم تغطى الجميع بقطعة قماش من المربعات الصغيرة يطلق عليها (ملاءة).

٤ – ترتدى فى قدميها النعل.

أزياء الراقصات أيام الحملة الفرنسية.

كذلك توجد ملابس للحمام فيها عناية بالزخرفة والزينة والجمال. كما توجد ملابس خفيفة مخصصة للنوم. وملابس للزفاف.

ولعل من أهم التطورات فى ملابس النساء فى تلك الفترة، ظهور الفستان كقطعة جديدة من الملابس الخاصة بالمنزل، وهو يُشبه اليلك إلى حد كبير حتى ليكون تطويرا له، ولكنه مقفول من الأمام مع وضع حزام على الوسط دون الحزام المعروف قبل ذلك فى عرضه بصفة خاصة.

ولم تكن ملابس المرأة تتجاوز هذه القطع فى أغلب الأحيان، بحيث يستطيع أى زائر أو وافد إلى مصر فى ذلك الوقت، أن يميز المرأة المصرية عن غيرها من السيدات عن طريق ملابسها، بل لقد كان من اليسير أن يُدرك الطبقة التى تنتمى إليها السيدة من النظرة الأولى إلى ملابسها.

obeikandl.com

روب يشبه الكيمونو ولكنه يشبه السبلة تلبس فوق ملابس المنزل. ويظهر من تحتها السروال ممسوك أسفل الساق ومن تحته الخلخال. وفي قدميها نعل.

١

مغنية شعبية ترتدى رداء واسعا من اللاميه الأحمر المقلم، وتلف عليه حزاما حريرا أبيض مربعا مُزينا أطرافه بشراريب. تغطي وجهها بنقاب أبيض قصير وتلقى على رأسها ملاءة ذات مربعات صغيرة.

٥

٦

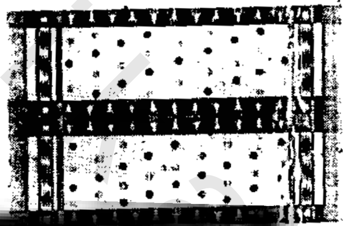

٢

جلباب ينساب باتساع بسيط عند الذيل، ويزين بشرائط طولية من الأمام والخلف وعلى الأكمام - تلبسه المرأة عند الخروج.

٤ ٣

برقع

٩ ٨

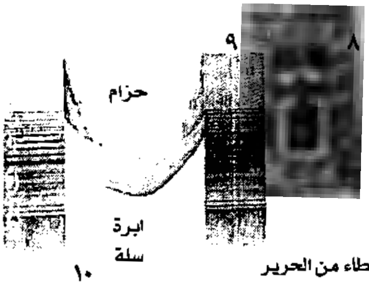

١٠

غطاء من الحرير

الأشكال ١، ٢، ٣ : فساتين عالة مصنوعة من الحرير الأحمر. الشكل ٤ : برقع. الشكل ٥: فستان عادى.
الأشكال ٦، ٧، ٨: أغطية من الحرير. الشكل ٩: حزام. الشكل ١٠: ابرة أو مسلة.
الرسامون: الأشكال ١، ٢، ٣: دوترتر. الأشكال ٦ إلى ١٠: بلزاك.

obeikandl.com

٣

فستان عالة مصنوع من الحرير

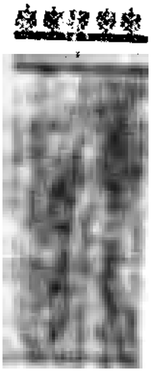

٦ منديل

٥

٢١

محراث

٢٠

١

جلباب للحمام

١٢ شبشب

١٣ صندل

١٤ صندل

١٥ صندل

١٦

١٧ صندل

١٨

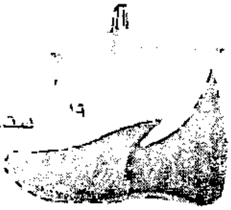

١٩ شبشب للحمام

الشكل ١ جلباب للحمام. الشكل ٣ : فستان عالة مصنوع من الحرير. الشكل ٥-٦ منديل الشكل ٢٠،٢١ محراث

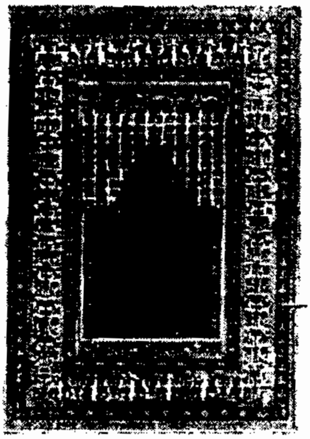

٩ سجادة

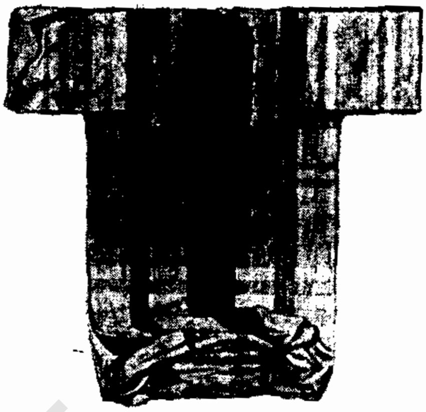

٢ جلباب للحمام

٤ برقع

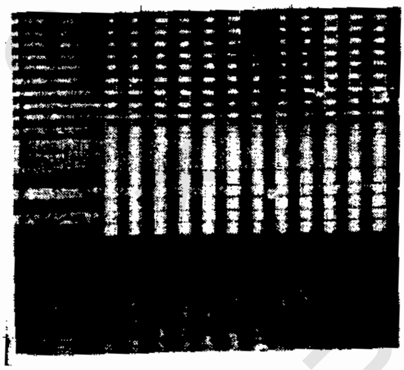

٧ ملاءة

١١ حزام

١٠ سجادة

٨ ملاءة

الشكل ٢: جلباب للحمام، الشكل ٤: برقع. ٧، ٨: ملايتان (ملاية). الشكلان ٩، ١٠: سجادتان.

obeikandi.com

أزياء مختلفة أثناء الحملة الفرنسية على مصر

الفصل الرابع

التطريز والزخرفة التى استخدمها المصريون

إن الرغبة فى الأناقة رغبة فطرية فى الإنسان صاحبته منذ فجر حياته، وتدل الآثار القديمة على أن الإنسان حتى فى مراحل تطوره الأولى كان يميل إلى الأناقة، فعندما كان معظم جسمه عاريا كان يزينه بأنواع الوشم، ويتفنن فيها.

كما استخدم بعد ذلك الحلى المختلفة، وكان لابد أن يتطور هذا إلى ما نراه اليوم من أنواع الأقمشة، وألوان الأزياء، ومختلف وسائل تزيينها، إما برسومات مطبوعة أو منسوجة أو مشغولة بأشغال الإبرة.

وطالعتنا آثار قدماء المصريين بمنسوجات مطرزة بخيوط القطن والصوف الملون، والتى استخدمت فى عملية التطريز، لسهولة صباغتها، كما طُرزت بعض ثيابهم بخيوط من الذهب والفضة.

وكان قوام زخارفهم الأشكال الهندسية وزهرة اللوتس وبراعمها، وخطوط على هيئة الريش. وكانت الألوان الرئيسية التى استخدمت فى تلوين وتطريز أردية النساء هى اللون الأصفر والأخضر والأحمر.

ويوجد من ذلك نماذج كثيرة فى دار الآثار المصرية مثل القطعة رقم ٣٧٣٦ ورقم ٣٧٣٨، ولكننا لم نجد الدليل المادى على استخدام التطريز فى العصر اليونانى والرومانى على الملابس، غير أنه توجد بعض النماذج للتطريز فى العصر القبطى والتى يوجد بعضها فى المتحف القبطى بالقاهرة مثل قميص الكتان رقم ٤١٣٠.

وفى العصر الإسلامى ازدهرت صناعة الأقمشة المنسوجة، وقل الاهتمام بتطريز الملابس ولو أن هناك بعض النماذج والأمثلة تعود إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين.

وكان استعمال غرزة السلسلة، وشغل الوشى بخيوط الذهب والفضة قد سيطر تماما على الأقمشة المصرية فى بداية العصر الإسلامى، جنبا إلى جنب مع نوع من الأنسجة التى تدخل فيها الزخرفة القبطية، والتى كانت فى معظم الحالات تشكل زخارف تصويرية، وأهم ما أدخل على الزخارف الحروف العربية، التى عاونت الفنان على إيجاد صورة فنية جميلة فأخذ فى تنميقها وتجميلها.

وقد قُسمت مشغولات التطريز فى مصر فى العصر الإسلامى إلى نوعين رئيسيين:

١ - مشغولات بالحرير فوق الأتيال.

٢ - مشغولات بالصوف فوق الأتيال.

وقد طالعنا العصر المملوكى ببعض الملابس المطرزة أو المنسوجات ذات الزخارف المطبوعة، فلقد ازدهرت صناعتها فى هذا العصر، وقوام زخارفها أشكال هندسية أو رسوم فروع متشابكة أو طيور باللون الأزرق أو الأحمر أو البنى أو باللونين الأحمر والأزرق.

ومن طرق زخرفة المنسوجات فى العصر المملوكى تزيينها بتثبيت قطع صغيرة من الأقمشة تختلف فى لونها عن اللون الأصلى والذى يُسمى "Tatch Work" أى التطريز بالنسيج المضاف وهو ما يشبه شغل الخيم فى مصر "Tent Stitch" أو شغل الصرمة فى تركيا. (ومن المعروف أن شغل الصرمة يطلق على التطريز بالخيوط المعدنية والتى اشتهرت به مدينة بروسيا فى تركية).

كما شاعت طريقة تطريز الزخارف الهندسية والنباتية على الأقمشة الكتانية بدون صباغتها، ويوجد منها بعض النماذج فى المتحف الإسلامى فى القاعة [رقم (٥) مثل القطعتين رقم ١، ٢ - ٨٢٢٧ شكل ١٧، ١٨]. الأولى من نسيج الكتان غير المصبوغ ومطرز بالخيوط القطنية سوداء اللون، وزخارفها بسيطة جدا فهى عبارة عن عصفورتين متقابلتين بينهما زخرفة وتحتهما شريط زخرفى بسيط، وكلها مطرزة بغرزة النباتة لتعطى الزخرفة المطلوبة.

والقطعة الثانية من نفس النسيج، والخيوط حريرية ولكن لونه أزرق غامق، وعليها زخرفة عبارة عن طائرين متدابرين وبينهما شجرة الحياة من أسفل، وطائرين صغيرين من أعلى على شكل زخرفة مثلثة. واستخدم فى التنفيذ غرزة النّباتة والصليب، وفى كتاب الفن الإسلامى ذكرت بعض غرز التطريز التى كانت مستخدمة فى ذلك العصر وهى:

شغل الوشى "Crewel Stitch"، غرزة السلسلة "Chain Stitch"، غرزة الصليب "Cross Stitch"، تطريز القباطى "Gobelin Stitch"، غرزة الفستون "Festooned Stems"، غرزة الزجزاج "zigzag"، غرزة الرفى "Darning Stitch" غرزة نباتة للزخرفة "Holbein Stitch"، غرزة الخيام "Tent Stitch"، غرزة الفرع "Stem Stitch"، غرزة النباتة "Flat Stitch"، التطريز بالنسيج المضاف "Applied – Patch Work".

كذلك يوجد نموذج للتطريز بالإضافة إلى أرضية قطيفة من العصر المملوكى فى القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين فى القاعة رقم ١٧ تحت رقم ٢/ ١٣٠٢٤ بمتحف الفن الإسلامى.

ولما وقعت مصر فريسة للسيطرة العثمانية تأثر فن النسيج والزخرفة والتطريز بالطراز العثمانى إلى حد كبير.

وامتازت المنسوجات التركية بالموضوعات الزخرفيـة النباتيـة، فـأقبل النسـاجون علـى رسـم القرنفل والسوسن، وقد نقلوا بعض العناصر الزخرفية الإيرانية لاسيما الرسوم النباتية.

وأكثر الموضوعات الزخرفية انتشارا فى الديباج التركى المناطق بيضاوية الشكل المملوءة برسوم الزهور المختلفة، كما استعملوا زخارف على هيئة المروحة وأخرى على شـكل دائـرة تضـم رسـم الهلال تحف به زخرفة متعرجة تشبه السحب الصيفية.

ولابد أن هذا الفن قد أثر فى الملابس المصرية طوال مدة سيطرة العثمانيين على مصـر، ولكـن لم يوجد من الملابس النسائية المطرزة بهذه الطريقة أى عـدد يمكـن الاعتمـاد عليـه فـى وصـف الزى، فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

وكل ما وُجد من صور السـيدات فـى هـذه الفتـرة كـانت ملابسـهن تتمـيز بـالتطريز البسـيط الرقيق، والزخارف المأخوذة من الطبيعة، وغالبا مـا تكـون مـن أوراق الشـجر والزهـور والـبراعم زُينت بها أطراف الطرح والأحزمة والمناديل والشيلان، وأطـراف الأرديـة القصـيرة التـى كـانت تشبه الجاكيت وصورة أخرى لمنديل مطرز.

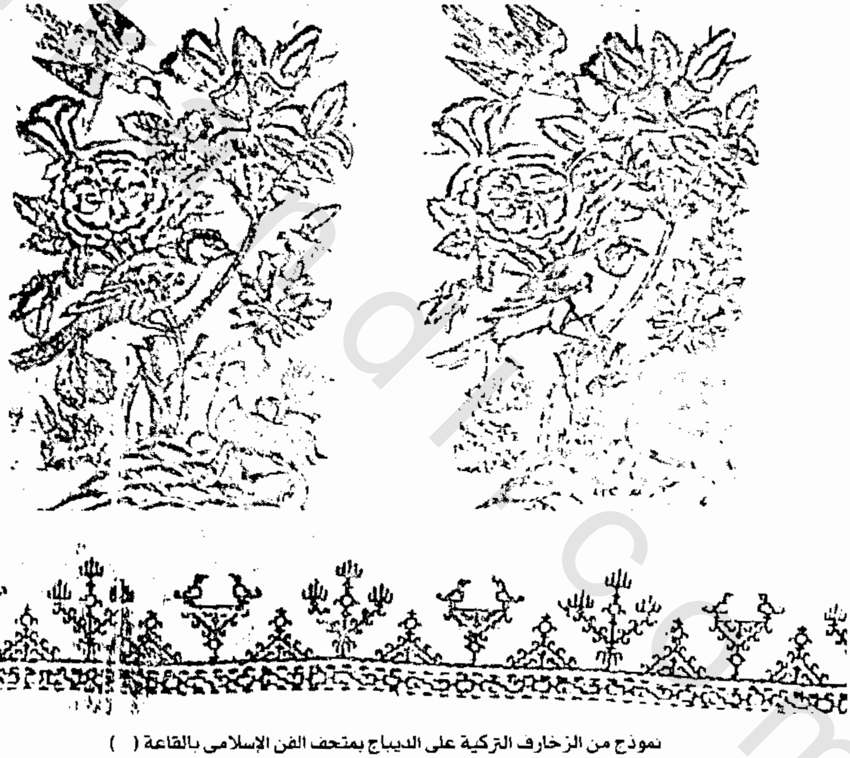

نموذج من الزخارف التركية على الديباج بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة (   )

obeikandl.com

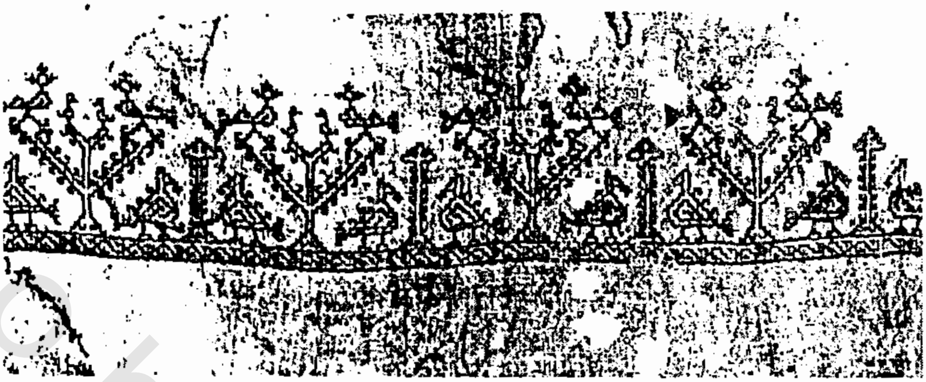

يظهر جمال الزخرفة والتطريز فى العصر المملوكى فى هاتين القطعتين المعروضتين فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (٥).

ويزخرف القماش بالتطريز بعد أن يتم نسجه بواسطة إبرة الخياطة بخيوط ملونة غالبا، ومن خامة أغلى من خامة النسيج، وكانت خيوط الحرير هى المستخدمة غالبا فى هذه الفترة، كما استخدمت خيوط الذهب والفضة فى كثير من الأحيان.

ومن الغرز التى استخدمت فى هذه الفترة علاوة على الغرز التى سبق ذكرها:

غرزة الركوكو "Rococo Stitch"، غرزة السراجة المتداخلة "Basket Stitch"، غرزة الملو من على الوجه "Filling Stich"، بروديره إنجليزى محشو "Rgean eye"، غرزة الحشو على الوجه "Couching Stitch"، غرزة البطانية لتحديد الزخرفة "Somak Stitch"، غرزة الضفيرة "Backstitch"، غرزة الفلترية "Filtry Stitch".

وكانت الألوان المستخدمة فى خيوط التطريز تشمل الأخضر والبرتقالى والأزرق الفاتح والغامق والأحمر والطوبى والأسود والأبيض والأحمر الأرجوانى.

وكان يوجد بمصر عمال مهرة متخصصون فى تطريز وتزيين الملابس فى تلك الفترة.

فقد جاء فى كتاب وصف مصر أنه كان يوجد بمصر عمال يطرزون بالفضة والذهب، ويطلق عليهم اسم القصبجية، وكانوا فى الغالب من القبط، وكانوا يزخرفون بالمعادن الحرير الأصفر أو الأبيض بعد أن تقص المعادن إلى حزم صغيرة.

ولهذا لا تكاد تخلو ملابس جميع المصريين رجالا ونساء من التطريز والزخرفة واستعمال الكردون فى أشكال جميلة. حتى لقد كانوا يلبسون الأحذية المزخرفة بتطريز من الذهب والفضة، وهو ما يميز هذه الفترة.

هذا علاوة على تطريز أطراف الطرح والعصابات التى تُلف على الطواقى، والأحزمة والمناديل والعنترى مما كان يُضفى على الملابس جمالا ورقة.

وقد ذكر عبد الله النديم بعد تلك الفترة أن الأغنياء استبدلوا الثياب الكتانية بالثياب الحريرية من الأطلس والسلارى والإسكندرانى والأصفهانى والقطيفة ويُقصبون ما يريدون منها بالإبرة وهو ما يسمى بشغل الطارة.

كما كانت بعض السيدات يقمن بعملية التطريز بمنازلهن سواء كان ذلك لأنفسهن، أو لغيرهن من النساء.

وبذلك يكون النساء قد اشتركن فى كثير من أعمال الملابس مثل الغزل والنسيج والتطريز، شغلا لوقت فراغهن الواسع ، والذى لم تكن أعمال المنزل تستطيع أن تملأه فى حين لم تكن المرأة تزاول أعمالا أخرى خارج المنزل إلا نادرا.

بجانب أن ذلك شىء يتفق مع الميول الطبيعية للمرأة حيث تحب الزينة، وترغب فى صنعها والاهتمام فى مكوناتها، بدليل أن المرأة حتى وقتنا الحاضر، ومع اشتراكها فى كثير من الأعمال والوظائف العامة تحب من وقت لآخر أن تزاول مثل هذه الأعمال على سبيل الهواية المفيدة النافعة، فتسلى نفسها بعض الشىء من هذا لها أو لإحدى بناتها أو لزينة بيتها.

العنترى

من القطيفة الملونة مزخرف على الظهر والأكتاف وأجزاء أخرى واضحة فى الصورة بخيوط ذهبية أو ملونة.

الزخارف فى منتهى البساطة والجمال وهى عبارة عن أوراق نباتية وبراعم مأخوذة من الطبيعة والغرز المستعملة هى الفرع (المضفرة) والحشو.

كما يوجد تطريز بسيط على حافة الحزام الملتف حول الوسط.

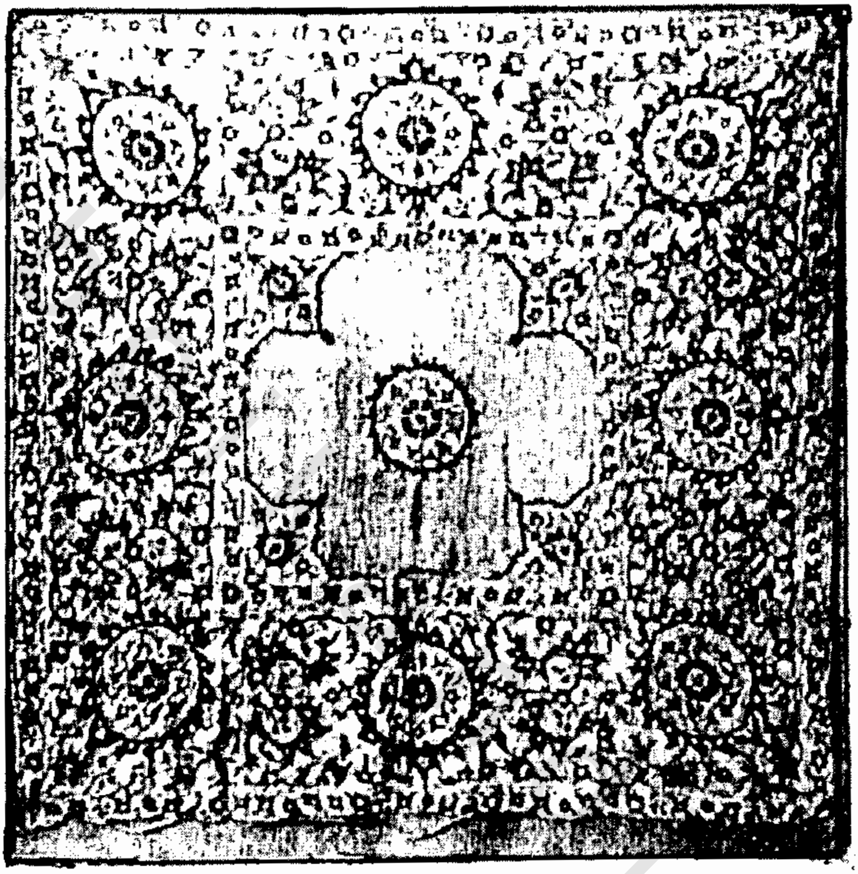

منديل مطرز

منديل يد وجد على قبر زوجة السلطان سليمان القانونى، به زخارف مطرزة بخيوط الحرير والفضة والذهب، واستخدم فى تطريزه خيوط متعددة الألوان منها الأصفر والأبيض والأحمر والأزرق الفاتح والأسود والأخضر. أما الغرز المستعملة فأغلب الظن أنها غرزة النباتة والفرع والحشو والآجور.

الفصل الخامس
الكماليات التى استخدمتها المرأة فى هذه الفترة

من المعروف أن ملابس المرأة جزء هام من زينتها، بل ربما كانت هى أهم مظاهر زينتها. فيجب ذكر بعض النواحى الأخرى التى تستكمل بها المرأة زينتها وتتفق مع ما تميل إليه من رغبة فى إظهار نواحى جمالها الذى كان ولا يزال يُعتبر من أهم ما تحرص عليه وتتباهى به.

١- غطاء الرأس :

كثر لبس رجال الدولة من الأمراء والمماليك والأجناد ومن يتشبه بهم منذ الدولة الجركسية، وصاروا يلبسون **الطاقية** على رءوسهم بغير عمامة، ويمرون كذلك فى الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب، ولا يرون بذلك بأسا بعد أن كان نزع العمامة عن الرأس عارا وفضيحة.

وقد تعددت أنواع الطواقى واختلفت ألوانها ما بين أحمر وأخضر وأزرق، وغير ذلك من الألوان.

كما كانت أولا ترتفع نحو سدس ذراع أى حوالى ١٢ سم، وأعلاها مدور ثم ارتفعت إلى نحو ثلاثة أرباع ذراع، وتشبه النساء بالرجال فى لبس هذه الطواقى لسببين أحدهما: أنه نشأ فى أهل الدولة محبة الغلمان، فقصد نساؤهم التشبه بهم ليستملن قلوب رجالهم، فاقتدت بهم فى ذلك عامة النساء. وكانت مدورة من أعلاها وأسفلها بفرو من السمور.

ثانيهما، ما حل بالناس من الفقر، ونزل بهم من الفاقة، فاضطرت نساء مصر إلى ترك ما ألفته من المغالاة فى الملابس، والتحلى بالذهب، واستعضن عن ذلك بلبس هذه الطواقى وبالغن فى عملها وتواصين على لبسها.

وقد ذكر على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية: (إنه كثر لبس الطواقى للصبيان والأجناد والنساء والجوارى). وكانت حمراء أو خضراء أو زرقاء.

وتسمى هذه الطاقية فى الجزيرة العربية (نس) وكذلك تسمى فى القسطنطينية، (وكانت تسمى قديما فى مصر (شاشية)، وهو الاسم الذى ما تزال تحمله فى المغرب).

وقد ظهرت الطواقى المصنوعة من الذهب الخالص فى العصر العثمانى، بجانب النوع المرصع بالماس كما يظهر هذان الشكلان فى الصور المرفقة.

وقد استخدمت القطيفة بكثرة فى صنع طواقى ذلك العصر. فأقمشة القطيفة تختلف بوجه عام عن الأقمشة العادية، فتعتبر من الأقمشة الوبرية، فمن حيث مظهرها بوجود بروز وبرى الشكل على سطحها نتيجة إضافة خيوط خاصة من خيوط السدى أو اللحمة فتظهر بارتفاع معين على سطح المنسوج الوبرى وذلك حسب الغرض من الاستعمال. وهذا البروز يُعرف باسم الوبرة التى قد تكون مستديرة الشكل على هيئة حلقات كما فى أقمشة (الفوط والبشاكير والبرانس المستعملة للاستحمام وتُستخدم للتجفيف) أو مقطوعة الأطراف كالأقمشة المستعملة فى الفرش وبعض ملابس السيدات.

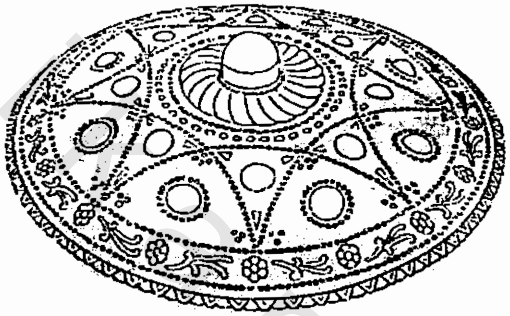

غطاء للراس أيام الحملة الفرنسية (قرص) من الذهب الخالص.
وهذا النوع منتشر بين الطبقة العليا.

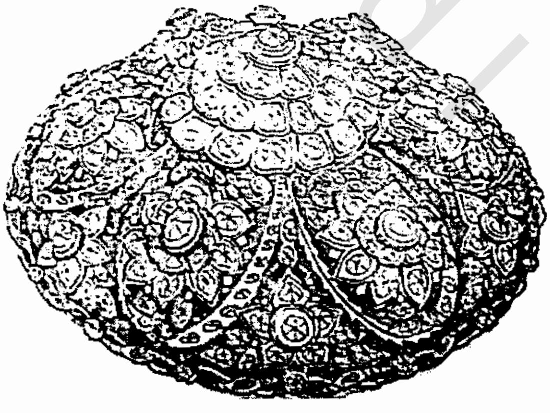

غطاء للراس أيضا (قرص) مرصع بالماس.

ولبست المرأة العثمانية الطواقى القطنية بلون بنى وتلف حولها عصبة مستطيلة وضيقة باللون الأحمر والأخضر، ويتدلى من الطاقية شريط يُلف حول الرقبة مزين بالجواهر واللالىء والعملات الذهبية ويبدو كأنه قلادة تنسدل على الصدر (الصورة فى الباب السابق).

أما القرويات فكن يلبسن الطواقى من المنسوجات القطنية، والمزينة بزخارف بألوان مختلفة، وكذلك الطواقى الجوخ تلبسها الراقصات.

وقد ظهرت الطواقى مرة أخرى فى عصر الحملة الفرنسية وبعدها، إذ وصف (لين) غطاء رأس المرأة فى تلك الفترة بأنه يتكون عادة من طاقية "Takeyeh" وطربوش "Tarboosh" مع منديل مربع يسمى الفارودية "Faroodeyeh" من الموسلين المطبوع أو المطرز، وأحيانا من الكريب، ويُربط بدقة حول الرأس فى تكوينه يسمى (الربطة Rabtah)، وأحيانا كان يستخدم منديلان للفهما حول الطاقية لعمل غطاء الرأس. وكان غالبا ما يكون عاليا، ولكنه مسطح مما يُساعد على وضع نوع من التيجان يسمى (بالقرص Kurs) وبعض الحلى الأخرى التى توضع على رأس السيدة.

كما كانت توضع فوق الرأس قطعة كبيرة من قماش الموسلين الأبيض المطرزة فى كلا طرفيها بالحرير أو الذهب أو تُصنع من الكريب الملوّن وفى أطرافها حلى ذهبية أو ترتر. وكانت تُربط خلف السيدة، وتصل بالقرب من الأرض تُسمى "Tarhah" وأحيانا كانت توضع على الجبهة قطعة من الموسلين أو الكريب ذات اللون الأسود أو الأحمر استخدم فى زخرفتها القطع الفضية أو قطع من الذهب القشرة بدلا من تطريزها.

ومن أنواع الزينة (الدندشة) التى كانت شائعة فى ذلك الوقت (الميزاجى Mizâgee) وهو عبارة عن شريط من الموسلين الأسود أو الوردى، يُلف حول نفسه عدة مرات، وعادة مًا يكون شريطا ضيقا لا يزيد عرضه عن بوصة واحدة، وطوله حوالى ٥ أقدام، والجزء الأوسط منه يبلغ ١٢ أو ١٣ بوصة يحلى بالترتر الذى يوضع متلاصقا أو يُزين بالجواهر، وفى كل طرف من أطراف هذا الشريط يوجد ترتر كذلك فى مساحة طولها من ١٢ إلى ١٣ بوصة أيضا.

كما توجد فى حَوَافِه شراريب صغيرة بألوان مختلفة، وعادة ما تكون مصنوعة من الحرير، ويُربط هذا (الميزاجى) حول الرأس بحيث يكون الجزء الأوسط المطرز على الجبهة الرابطة تماما، ويُربط من الخلف عند الجزء العلوى من الربطة، أما الأطراف المطرزة فتسحب إلى الأمام وتتدلى فوق الصدر.

وفى بعض الكتب الحديثة ذكر أن غطاء رأس النساء فى تلك الفترة كان يُسمى **(قلنسوة)**، وهو عبارة عن طاقية حمراء صغيرة على شكل قمع يُلف حولها منديل أو أكثر من قماش الكريب أو حرير الموسلين الأبيض أو المرسوم أو المزركشة بصفوف الزخرف.

وفى مقدمة الطاقية تُثبت صفيحة صغيرة مكورة يبلغ طول قطرها ثلاث بوصات تقريبا تسمى (بالكور)، ونساء الطبقة العليا يتخذن هذه الصفيحة من الذهب فقط، أما نساء الأغنياء فيستخدمنها مرصعة بالأحجار الكريمة.

وكذلك قيل عن غطاء الرأس للمرأة فى تلك الفترة، إنها كانت تضع على رأسها (طربوشا) أحمر يثبت على جزئه العلوى قطعة من المصاغ تسمى بالقرص، وقد تُصنع من الذهب المرصع بالماس، ويُلف حول القرص قطعتان من الكشمير كما تلف العمامة حول طربوش الرجل، ثم يُسدل على غطاء الرأس هذا طرحة بيضاء طويلة مطرزة بالذهب.

الطرح المطرزة

طرحة بيضاء من الموسيلين الرقيق مطرزة على حافتها وفى داخلها بخيوط الحرير البيضاء والزخرفة عبارة عن خطوط قصيرة ملتوية تفصل بينها دوائر مستديرة كما نجد مثل هذه الدوائر منتشرة فى كل الطرحة. واستعملت غرزة الحشو وغيرها لعمل هذا التطريز.

السيدة ترتدى طرحة أخرى أسفلها من قماش سميك نوعا وبلون أبيض أغمق ومحلى طرفها بزخرفة محورة من أوراق النبات والبراعم.

استخدم فى الزخرفة التطريز بالإضافة إلى ألوان مختلفة من الأقمشة لعمل الزخرفة ومثبت بغرزة رفى ضيقة جدا تعطى شكل الكردون.

أما باقى الرداء من اليلك والسروال فمن النسيج المزخرف.

obeikandi.com

من هذا يتضح أن المرأة استخدمت كلا من الطاقية والطربوش كغطاء للرأس، ووضعت فوقها أقراص الذهب، ولفت حولها العصائب، وألقت فوق الجميع الطرحة، واعتادت المرأة تزيين كل من هذه القطع الثلاث بشتى الطرق. (شكل موضح فى الباب السابق).

٢ - الشعر :

كان الشعر يُقص قصيرا من على الجبهة، ولكنْ هناك خصلتان طويلتان تنسابان على جانبى الجبهة، ودائما تكون مجعدة وملتوية، وأحيانا تكون ناعمة ومنسدلة، أما الجزء الخلفى، فكان يقسم إلى عدد كبير من الضفائر، ويكون عددها ما بين ١١، ٣٥ مع ضرورة أن تكون فى عدد فردى دائما لاعتقادهن أن هذا الحظ لهن، ولكل ضفيرة ثلاثة خيوط حريرية سوداء تختلط بها بعض الحلى الذهبية.

ويقول عنها (كلوت بك): إن هذه الخيوط الحريرية السوداء التى تدخل فى تضفير الضفائر، تختلط بها قطع ذهبية صغيرة، وتنتهى كل ضفيرة بمحلية ذهبية أو بقطف من اللؤلؤ، أو بقطعة مثقوبة من الحافة، أو بقطعة من العملة التركية.

ومجموع هذه الضفائر المنسقة على الوجه يُسمى (بالصفا)، وأيدّ ذلك الفرنسيون بقولهم: (إن التسريحة تظهر حول الرأس وهو ملتو نوعا ما وكان يزخرف بالجواهر والأحجار الكريمة، وكانت له (ضفائر Dafâyr) تُلف بالحرير فى مؤخرة الرأس تساعد على تطويل الشعر، وتنسدل هذه الضفائر إلى الخلف.

وكانت تلصق بهذه الشرائط قطع صغيرة من قشور الذهب تسمى (برق Barq)، وكانت الخيوط الحريرية المستخدمة فى عملية التضفير مثبتة على شريط أسود من الدانتل الملفوف حول الرأس. وتعلق بهذه الخيوط القطع الذهبية (البرق)، وكانت تثبت فى ثلثيه أو ثلاثة أرباعه من الجهة السفلى، وترص فى شكل واحد، ولا يتعدى بُعد بعضهما عن الآخر البوصة الواحدة، وتثبت بحيث لا يحتك بالبرق المجاور، ويبلغ عددها فى كل شريط ٩ أو أكثر، وفى نهاية كل شريط توضع دلاية تسمى (ماسورة Masoorah) أو حلية على شكل زهرة أو على هيئة قطرة ماء. ولا يزال هذا منتشرا فى بعض الريف المصرى ويسمى (بالسواعد) لأنه يساعد المرأة على الإعجاب بشعرها، والسير فى دلال، وإن كانت تلك السواعد تصنع أحيانا من الحرير، وأحيانا من الصوف. ولعل استخدام الشعر الصناعى فى المدن هو إحياء أو تطوير لتلك الظاهرة القديمة.

وبذلك كان يكتمل تاج المرأة على رأسها، وكانت هذه التسريحات تستغرق وقتا طويلا منهن، حتى تظهر بالمظهر اللائق بهن، ولاسيما أن لديهن من الوقت المتسع لذلك.

٣ – العيون والحواجب :

كانت الفتاة المصرية يكتمل نموها فى سن الرابعة عشرة وحتى العشرين من عمرها تكون مكتملة الجمال والقوام.

وكانت عيون المرأة المصرية جميلة أخاذة ولعل هذا هو السبب فى عدم إخفائها مع باقى الوجه، وكانت تمتاز بسوادها. وكان الاعتقاد السائد أن الكحل يُفيد النظر، ولكنه فى الحقيقة كان يستخدم أساسا للتجميل، وربما تأتى فائدة النظر تباعا وهدفا غير مقصود.

شعر سيدة مصرية مرتب بطريقة الصفا

١ - ينسدل الشعر من الأمام على الجبهة على هيئة قصة صغيرة.

٢ – تتدلى خصلتان مجعدتان وملتويتان على الصدغين بجانب الأذنين.

٣ – يغطى الظهر بالضفائر الفردية المضفرة بخيوط الحرير الملتصق بها قطع معدنية كما تنتهى بقطع ذهبية مستديرة.

٤ – يلبس على الرأس الطاقية – الملتف حولها عصابة مزينة بالزخارف المنسوجة.

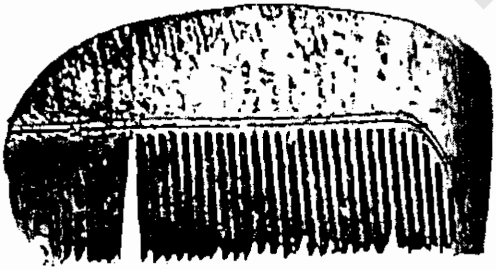

مشط للشعر مقوس الشكل – مصر – القرن الثامن عشر.

وكان الكحل يُحتفظ فيما يسمى بالمكاحل، ويستخدم المِرْوَد ذو الطرف المدبب والمصنوع من الخشب أو الفضة أو العاج، وكان يُغمس فى بودرة الكحل لتخطيط جفنى العين. فيبدو شعر الجفون أسود براقا. وكن يضعن فى مكان ما من الوجه (الخال) وهو نقطة مستديرة من لون أسود مما يزيد من جمال المرأة. كما اتخذت المرأة المصرية أكثر من وسيلة للتزين والتجميل لأنهن شديدات الطموح إلى الظهور بالمظهر الفاتن لعقول الرجال. وكذلك يزججن حواجبهن بترقيقها لتصير رفيعة.

ولقد اهتم النويرى بالحديث عن ذلك فقال: من محاسن الحواجب الزجج والبلج، والتزجج دقة الحاجبين وامتدادهما، والبلج أن تكون بينهما فرجة. وكان ذلك مما يعجب العرب والشعراء منهم.

وكيف لا تهتم المرأة بعينيها وحواجبها فى هذه الفترة وهما الشيئان الوحيدان الذى يسمح لها بكشفهما وبالتالى فهما الشيئان الوحيدان التى تستطيع أن تبرز جمالهما وروعتهما.

كما يدل ذلك على اهتمام المرأة منذ القدم حتى الآن بتخطيط وتظليل العيون، وأكبر دليل على ذلك صور سيدات قدماء المصريين وطريقتهن فى تجميل العيون وتظليلها، ويوجد من هذه الاختراعات الكثيرة فى أيامنا هذه، بل إنها تتغير من موسم إلى موسم آخر. والهدف دائما هو إظهار العيون فى أجمل صورة وجذب الأنظار إليها من أول وهلة.

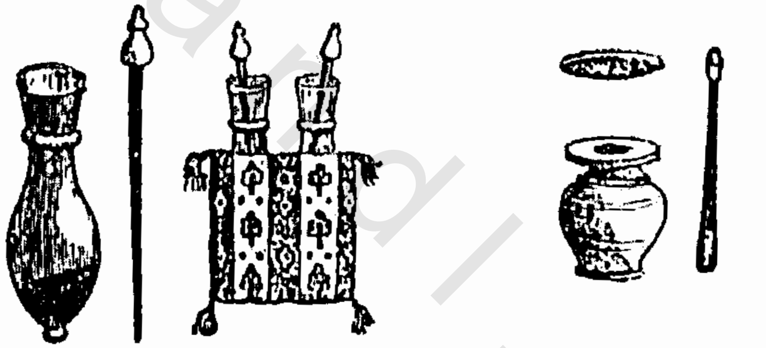

أنواع من المكاحل مختلفة الأشكال والأحجام وأجمل ما فيها زجاجات الكحل المحفوظة فى كيس من القماش المنسوج بزخرفة جميلة تحلى أركانه بشراريب تزيده جمالا. وهذا يدل على مدى اهتمام المرأة المصرية بزينتها.

رسم لعين سيدة مصرية بعد توجيجها فتعطى فكرة عن الطريقة التى تتبعها فى تزيين عينيها وحاجبيها لتزيدهما جمالا، وهى تشبه طريقة تزيين العين عند قدماء المصريين. وهذا يدل على مدى اهتمام المرأة المصرية بزينتها.

obeikandi.com

٤ - الحناء والوشم:

كانت السيدات المصريات منذ القدم مولعات بتلوين أيديهن وأقدامهن باللون الأحمر واستخدمن لذلك الحناء، التى استخدمت على مر العصور والأيام. ويحصلن عليها من أوراق شجيرة الحناء، وهذا الورق يسحق ويبل بالماء فيتحول إلى عجينة يمكن استعمالها بعد ذلك. وكانت هذه الحناء من الأشياء التى تهتم بها المرأة اهتماما كبيرا فى زينتها وتجميلها ولا يستثنى من ذلك الطبقة الغنية أو المتوسطة أو الفقيرة، فكلهن يستخدمن الحناء فى ذلك الوقت. فتوضع عجينة الحناء على الأيدى بتقسيم فنى لا يتقنه غير المصريات، فتوضع فى راحة اليد، ثم تطبق الأصابع بحيث تكون العقلة الأولى مغموسة فى الحناء وتُربط اليد، وتبقى لمدة ليلة، فإذا نزعت فى الصباح وجدت تاركة أثرا جميلا جدا فى اليد، وكذلك فى باطن القدم والأظافر.

وعادة ما تتكرر هذه العملية كل أسبوعين أو ثلاثة، وكانت هذه العادة منتشرة فى معظم بلاد الشرق، التى تستورد الحناء من مزروعات ضفاف النيل، حتى لقد كانوا ينظرون إليها على أنها من أهم أنواع الزينة لما تضفيه من جمال ورقة على الأيدى والأرجل.

وقد كانوا يضيفون أشياء أخرى مثل زيت الكتان لتكتسب الحناء اللون الأسود وبذلك يكون لون (العقلة الأولى) أسود ولون العقلة الثانية أحمر أما باقى الأصابع فمن اللون العادى - الأصفر المحمر أو البرتقالى الغامق.

كذلك استخدمت الحناء لتلوين الشعر وتقويته وتغذيته، كما استخدمت فى بعض العلاجات الطبية بجانب تزيين اليدين والرجلين.

وكانت عادة استعمال الآنسات قبل الزفاف إلى الزوجية بليلة واحدة منتشرة حتى الآن فى بعض الأحياء وتسمى (ليلة الحنة). وفيها تجتمع المقربات للعروس من صديقات وقريبات وجيران، وتقوم أم العروس بتوزيع الحنة عليهن جميعا حتى يشاركن العروس فرحتها. ولا زالت هذه الليلة يحتفل بها فى جميع الطبقات تحت هذا الاسم، وإن كان استعمال الحنة فعلا لم يعد له وجود الآن إلا فى الطبقات الشعبية، وفى قرى الريف.

وكانت الثريات من السيدات يستعملنها بلونها الأصفر الذهبى، ولكن عامة الشعب استعملن اللون الأحمر أو الأحمر القاتم.

٥ - الوشم :

لقد اعتادت نساء الطبقة الدنيا وشم الشفة السفلى والدقن والسواعد والأيدى كنوع من أنواع تزيين الجسد.

obeikandl.com

وترجع هذه العادة إلى أزمان بعيدة حيث ظـهرت فـى الديانـات (الطوطميـة) وهـى ديانـات قديمة عرفها الإنسان البدائى عندما كان المجتمع الإنسانى يتألف من قبـائل وعشـائر صغـيرة، وكان على كل فرد من أفراد القبيلة أن يتخذ لنفسه (طوطما) أى شيئا مرادفا لـه مـن حيـوان أو نبات، ويتخذه شعارا له اعتقادا بأن طوطم كل فرد يقوم بحمايته مما يـهدده مـن أخطـار، كمـا عرفه قدماء المصريين، وربطوا بينه وبين دياناتهم، بالإضافـة إلى أنـهم قـد اتخـذوا مـن رسومه أيضا وسائل لزخرفة وتجميل الجسد.

وعندما جاءت المسيحية أخذ الوشم يتحول نحو الدين الجديد، مرتبطا به، ومتفـاعلا معـه، ومن أبرزه الوشم الخاص بالقديس جرجس.

ثم جاء الإسلام فاتجهت عنايته إلى القضاء على الوثنيـة وعبـادة الأصنـام، ووجـه ضربـات ساحقة فرفض تمثل الإله أو الرسل، وحارب تصوير الأشخاص ممـا أدخـل علـى رسـوم الوشـم وحدات هندسية وزخرفة جديدة كالنجمة والقمر والهلال والزهرية وغيرها.

وظل الوشم متوارثا طبقا للعادات والتقاليد، ومنها رسم السمكة باعتبارهـا رمـزًا للإخصـاب، ووفرة النسل، فكثيرا من فتيات القرى كن يذهبن قبـل الـزواج إلى الأسـواق لـدق السـمكة كفـأل حسن تَجَنُّبا لحالات العقم، ويبدو أن رسوم الوشم، قد أصابتها حالة اضمحلال وضعـف خـلال فترة الحكم العثمانى، شأنها فى ذلك شأن سائر الفنون.

ومن ثم اكتفت السيدات بعد هذه الفترة برسم خطوط بسيطة، مع بعض النقط أو الأزهار فـى مناطق كثيرة من الجسم كنوع من التجميل والتزين.

ولكن فى فترة الحملة الفرنسية كان منتشـرا بـين الطبقـات الشـعبية يسـتخدمنه فـى أمـاكن الزينة من الجسم عوضا عن الحلى والمجوهرات مما كان لا يُتاح لهـن بقـدر مـا أتيـح للطبقـات الغنية من سيدات المجتمع، فاسـتغنين بالمصـاغ والمجوهـرات أساسًـا لجمـالهن وزينتـهن عـن الوشم.

وكان يُستعمل الوشـم الأسـود أو الأزرق بواسطة معجـون خاص وإبـرة علـى يـد (غازيـة) أى راقصة شعبية رخيصة فى ذلك الوقـت، وكذلك على يد بعض الناس المتخصصين فـى هـذا الفن.

ومع أن عمل هذا الوشم قاس، وصعب التنفيذ شديد الألم فإن هـذه العـادة القديمـة اسـتمرت وخاصة عندما كانت تُستخدم فى تسجيل بعض المناسبات الهامة التى تتم فـى حيـاة الشـخص مثل الحج أو الزواج أو ما شاكل ذلك.

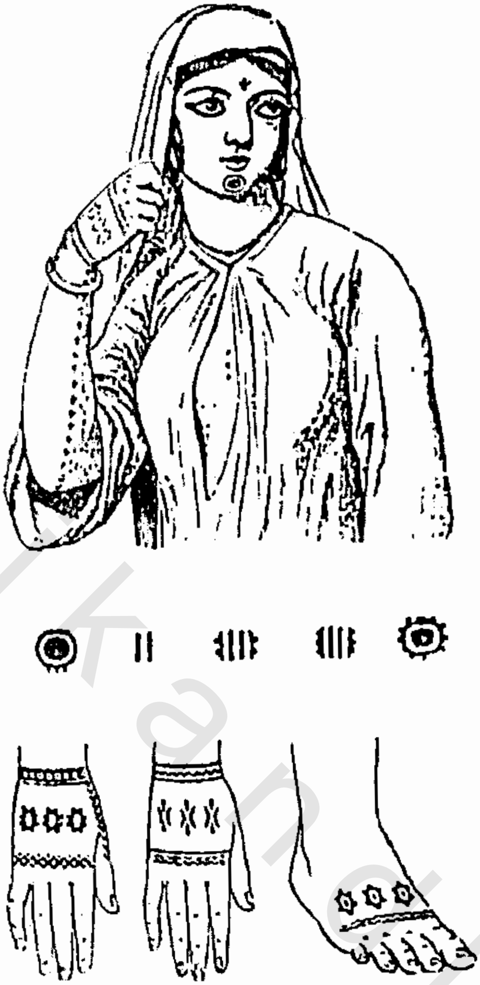

سيدة تزين وجهها وصدرها ويديها بالوشم وأشكاله المختلفة والمختارة من الزخارف.

وتبين:

نماذج مختلفة من الوشم على أجزاء مختلفة من جسم السيدة ويظهر فيها الإتقان والإبداع.

ولا تزال هذه العادة موجودة كثيرا مع أهل الصعيد والواحات يستخدمونه للزينة بجانب اعتقادهم أنه يشفى من بعض الأمراض.

ومع التطور الحضارى والثقافى أخذت تقل هذه العادة شيئا فشيئا حتى تكاد تتلاشى فى المدن والقرى، بل إنه من المألوف أن نجد شابا أو سيدة كانت لهما بعض ألوان الوشم من الصغر، فلما أدرك الآن وأحس أن هذا مظهر من مظاهر التخلف لا يليق بهذا العصر

ولا بما حصّلاه من الثقافة مهما كان ضئيلا، فمن المألوف أن نجد آثاره بعد محاولة إزالته بمختلف الطرق والوسائل.

وهكذا كان للعلم والثقافة والحضارة الإنسانية المتطورة أثر فى مطاردة هذه الأباطيل الخرافية والأفكار الواهية الكاذبة.

٦- الجوارب والأحذية

كانت أنواع الجوارب المزركشة والمزخرفة بألوان غاية فى الروعة والجمال منتشرة فى العصر العثمانى. وغالبا ما كان هذا النوع قد استخدم فى صناعته الإبر الكبيرة (التريكو)، المتعددة الألوان والأشكال فى ذلك العصر، وأقمشة التريكو هذه تتكون من فتلة واحدة تكوِّن غرزا متتالية ومتداخلة مع بعضها مكوِّنة نسيجا مطاطا. وتمتاز هذه الأقمشة بأن لها قابلية شديدة لامتصاص العرق والرطوبة، ولذلك تفضّل فى استعمال الملابس الداخلية والجوارب كما تمتاز بقابليتها للمطاطية مما يساعد على سهولة الحركة عند لبسها، وذلك ما يتطلبه لبس الجوارب.

وكانت ألوان الجوارب متناسقة كالأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والأبيض، واستخدمت هذه الألوان بتدرجاتها، كما يمكن استعمالها مجتمعة فى جورب واحد. وكان يطلق على هذا النوع اسم (شرابلار) فى العصر العُثمانى، ولبسته النساء، ولبست فوقه الخفاف (البابوش) وأنواع الأحذية الأخرى.

وقد استعملت الجوارب للنساء والرجال على السواء بألوانها الهندسية الجميلة فى خطوط أفقية.

وقد روى جواز المسح على الجورب عن تسعة من أصحاب الرسول ﷺ ، ويشترط فى صحة المسح على الجورب أن يكون سميكا، فلا يصح المسح على الجورب الرقيق الذى لا يمنع وصول الماء إلى ما تحته، وكذلك لا يصح المسح على الجورب الشفاف الذى يصف ما تحته رقيقا كان أو سميكا.

يتضح من ذلك أن أنواع الجوارب السميكة والرقيقة ظهرت منذ عهد النبى ﷺ.

الأحذية

من المصنوعات الجلدية التى تُصنع فى القاهرة بنجاح، منها الأحذية والبابوش والبلغة و(البانتوفل) إلى غير ذلك من الأنواع. وكان صانعوها يُسمون (السرماتيه Saramâtyha) (كلمة مشتقة من السرمة)، وهو الاسم الذى استخدمه رجال الحملة ومؤرخوها.

أنواع مختلفة من الأحذية: عبارة عن أنواع من الخفاف (البابوش) من الجلد مزينة بالزخارف النباتية ومطرزة بخيوط الذهب والفضة. (القرن ١٧م).
(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

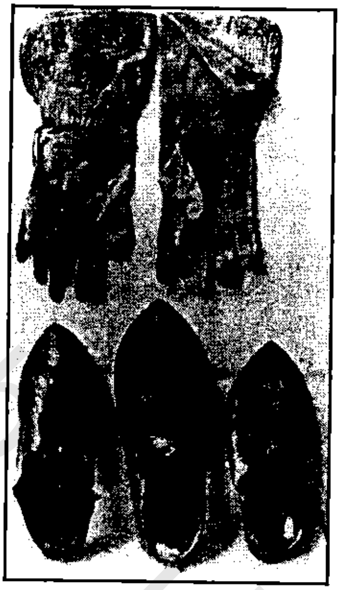

خفاف (بابوش) وقفاز من جلد (الشمواه) مزخرفة ومطرزة بخيوط الذهب والفضة (القرن ١٦م)
(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

نوعان من الأحذية:
إلى اليمين (بابوش) من الجلد مزي بالزخارف النباتية ومطرزًا بخيوط الذهب والفضة.
إلى اليسار (بابوش) من القماش الأسود مزينا بالزخارف النباتية ومطرزًا بخيوط الحرير والفضة (القرن ١٧م).
(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

جورب (شرابلار) من خيوط التريكو بألوان متعددة، والزخرفة قوامها الزخارف الهندسية.

وكان صانعوا الأحذية يصنعون كل ما يلزم البلاد من الأحذية والمزد والمركوب والبابوش والخفاف، وغالبا ما كانت تزخرف بنقوش جميلة، تُشتغل باليد على الجلد.

الخف Khouff

كانت الخفاف تلبس قديما فى مصر، من قبل الرجال والنساء على حد سواء. ويذكر (دوزى) أيضا أنه بعد غزو الأتراك لمصر يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجوارى والإماء العائدات لسادة أغنياء مترفين كانت فى غاية الروعة والبهاء.

أما (لين) فيقول: إن الخفاف هى نعال أو أحذية مصنوعة من الجلد المراكشى الأصفر. وانتشرت الخفاف بين النساء فى العصر العثمانى، وكانت مصنوعة من الجلد المزخرف برسوم وألوان مختلفة أو مصنوع من الجلد المزخرف باللون الأسود، أو مطرز بخيوط الحرير أو الذهب.

ويذكر (دوزى) أيضا، أن الرجال والنساء يلبسون الخفاف إذا أرادوا ركوب الخيل أو الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجونه، وهذه الخفاف نوع من النعال وتصنع من الجلد المراكشى الأحمر أو الأصفر. علما بأن معظم الخفاف كانت تبطن بالفراء. ويلبس فوقه (البابوج).

المِزد "Mest"

هو نوع من الأحذية، يُصنع من الجلد الأصفر أو القطيفة المشغولة بالحرير أو القصب، لا حافة له من الخلف مما يؤدى إلى أن يبقى الكعبان ظاهرين للعيان. ويقوم المزد فى أقدام النساء مقام الجوارب لأنهن كن يبقينه بأقدامهن أثناء جلوسهن على الدواوين والسجاجيد.

وجاء فى كتاب وصف مصر، أن الأحذية كانت متنوعة كالأجزاء الأخرى من الملابس. وقد وصف (المزد Mest) بأنه نوع من الشرابات المراكشية "Maroquin"، وهو يكسو القدم كله ومن فوقه يلبس البابوش "Babouch".

والصَرمة "Sarmah"

وهى فى أساسها مراكشية أيضا، وعند دخول النساء لمكان مُغطى بالسجاجيد، يَخْلعن الصُرَم والباجوجات، ويُبقين المزد وذلك تمشيا مع الآداب السائدة، وبذلك اختلط اسم المزد والخف فى تشبيههما بالشراب الذى يُلبس تحت الأحذية الخارجية.

obeikandi.com

أما الحداء الخارجي ذو الرقبة الطويلة، وقد ذكرها داندينى إذ يقول: (إن النساء إذا أردن أن يمشين مشية مريحة فى الدروب أثناء المطر والوحل، فإنهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشى تصل ركبهن، وهن يشمرن ثيابهن من كل جانب، حتى لا تبتل ملابسهن أو تتلطخ بالأوحال، وتسمى **(سرموذة)**، السرموج، الزرموزة، الجرموق، وهذه الكلمات جميعا تحريفا للكلمة الفارسية سرموزة. وهى نوع من غطاء لباد للساق يلبس فوق الخف.

وكانت النساء العاديات يلبَسْنَ نوعا من الأحذية يسمى **(بالمركوب)**، (كالصرمة) لا تشعر فيه أرجلهم بأى ضغط عليها، وذلك لأنه كان مفتوحا من الخلف. فالمركوب إذًا يشبه النعل أيام المماليك فى أن كلا منهما يلبس خارج المنزل، وأن السيدة تخلعهما عند الدخول لأى مجلس مثل الأحذية الأخرى.

كذلك كانت النساء تستخدم **(القباقيب)** التى ترتفع عن الأرض حوالى ٨ أو ٩ بوصات وكانت دائما تُحلى بأصداف اللؤلؤ والفضة. ولكن استخدامها كان مقصورا على الحمام، وقليلا ما كانت تستخدم فى المنزل، إلا إذا كان الغرض حماية ملابسهن من الاحتكاك بالأرض أو لإظهارهن أكثر طولا.

حذاء برقبة للنساء من الجلد مزخرف بزخارف قوامها الزخارف النباتية داخل جامات. ومطرزة بخيوط الذهب والفضة. (القرن ١٧م)

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

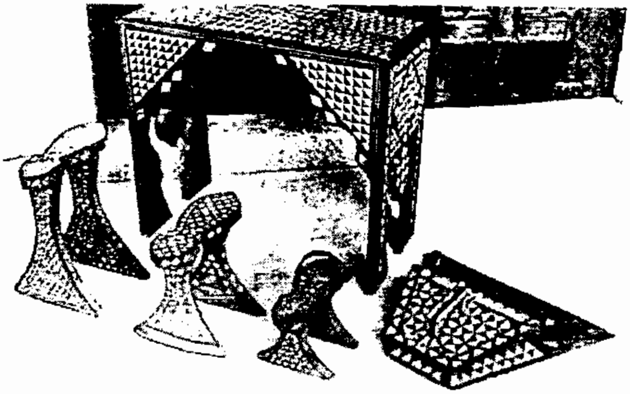

بعض التحف من الخشب المطعم بالصدف والعاج، من بينها قبقاب – من القرن ١٦ – ١٧م
(محفوظة بمتحف الفن الإسلامى باسطنبول)

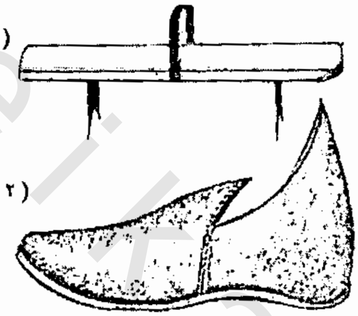

١– قبقاب من الخشب العادى – له جلدة سادة علوية مثبتة فى وسطه ويرتفع عن الأرض بحوالى ٤ بوصات.

٢– حذاء من الجلد ذو نعل رفيع وبدون كعب– مستدير من الأمام ومدبب من الخلف.

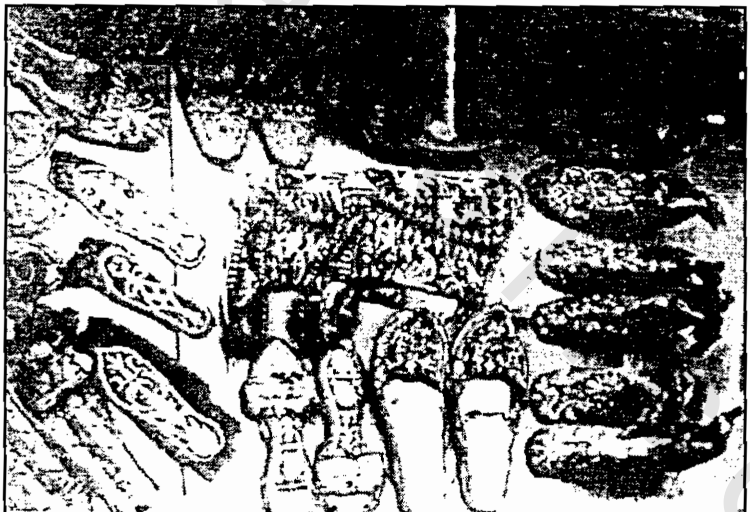

أنواع الأحذية والنعال والبابوش المختلفة والمتعددة الخاصة بالنساء فى العصر العثمانى، ومصنوعة من الجلد والقماش. المزخرف والمطرز من القرن (١٦ – ١٧م).

(محفوظة بمتحف طوبقابو سراى باسطنبول)

obeikandl.com

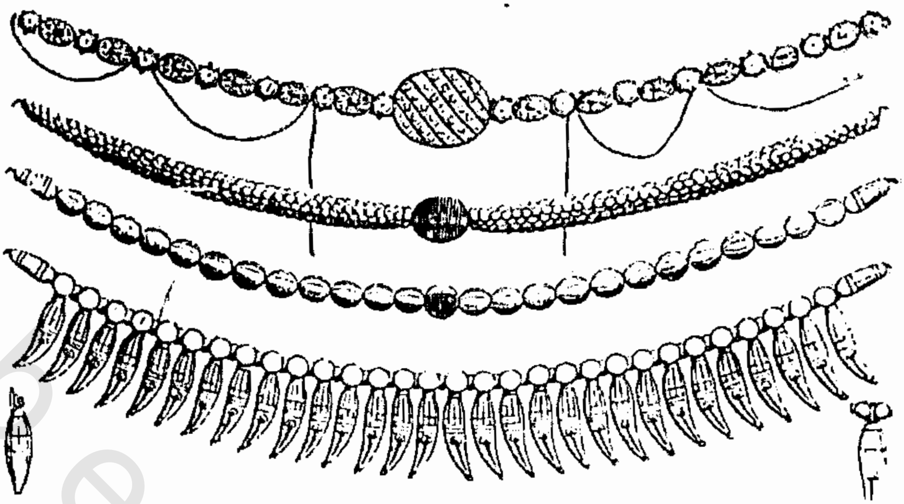

العقود

مجموعة فريدة من العقود التى ارتدتها سيدات القرن الثامن عشر والتاسع عشر يلاحظ فيها المهارة اليدوية والصبر والاتقان فى عمل قطع فنية لا تقل عما يصنع اليوم.

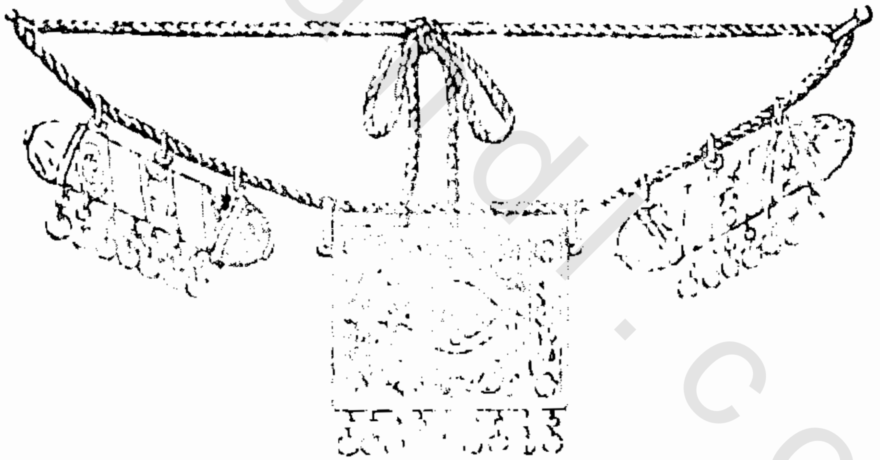

الحجب

نموذج من الحجبة التى كانت ترتدى ويلاحظ وجود الدلايات الفردية منعا للحسد

٧ - الحلى والمجوهرات

اعتادت المرأة فى كل العصور، وعلى مر الأيام أن تتزين لتظهر أكثر فتنة وجمالا فسعت إلى لبس الكثير من الجواهر والحلى الذهبية فى أماكن عدة من جسمها، فلم يَخْلُ جزء من جسدها من محاولة لتزيينه بقطعة فنية لتجذب إليها نظر الآخرين.

وليس هذا هو الهدف الوحيد الذى كانت تسعى إليه، بل كانت ترمى إلى شىء من الزهو والخيلاء والتعالى على الآخرين، وإظهار الثراء بكثرة ما تمتلكه منها، حتى النساء الفقيرات حاولن تقليد الثريات، ولكنهن اتخذن حليتهن من خامات رخيصة لتحقيق أهدافهن.

ولعل الفراغ الثقافى والاجتماعى لدى المرأة كان أيضا من بين دوافعها إلى ذلك بدليل أنها كلما تطورت اجتماعيا، وتقدمت ثقافيا، قل اهتمامها بهذه الحلى الظاهرة، بقدر ما يزيد اهتمامها بالتباهى بثقافتها الواسعة، وعقلها الواعى، ورغبتها فى البساطة التى لا تخلو من سمة الأناقة ولمسة الجمال.

وقد عُرفت الحلى منذ زمن بعيد، وبقيت آثارها تنطق بمهارة الصناع، ففى مصر الفرعونية نجد كثيرا من أنواع المصاغ والمجوهرات التى درجت عليها المرأة المصرية والتى لا زالت آثارها واضحة حتى اليوم.

كذلك فى العصور الإسلامية، وخاصة فى العصر العثمانى. فقد تزينت المرأة فى ذلك العصر بأجمل أنواع الحلى والمجوهرات. فقد استخدمت منذ القدم التيجان والأطواق على الرأس من مختلف أنواع الجواهر وألوانها، والمطعمة بالذهب والفضة، كما تداخلت هذه الحليات بين خصائل الشعر المدلاة من الشعور الصناعية.

وزينت أذنيها بأجمل أنواع الأقراط، ومعصميها بأروع أنواع الأساور، ولبست القلائد ليزدان بها صدرها، واتخذت من الخواتم حلية لأصابعها، وكان إهداء الخاتم للفتاة عند خطبتها من العادات المألوفة فى العصر العثمانى والخواتم الخالية من الجواهر تسمى دبلة. ولا زالت رمز الخطوبة والرباط المقدس. واستخدمت الأقراص الذهبية والأقراص المرصعة بالماس (موجودة فى الباب السابق). والأحزمة تحت الصدر وحول الوسط.

وما زالت نفس الأساليب القديمة المتبعة فى الأشكال والأنواع حتى يومنا هذا، مع تحوير أو تطوير بسيط من حيث الصنع والخامات، بل إننا نجد بعض التصميمات الحديثة مقتبسة تماما مما وجد فى مقابر قدماء المصريين مثلا، وخاصة مقبرة (توت عنخ آمون).

وفى عصر المماليك وصفت المرأة وحليها وأنها ارتدت أفخر ثيابها وتزينت وتعطرت. ومن أكثر ما كانت تهتم به المرأة - القلائد متعددة الأشكال والأنواع، ومن بينها قلادة تُصنع من

العنبر تسمى (العنبرية) وكانت تُصنع من عدة طبقات من العنبر، وتتدلى على الصدر، وهى عوض عن الطوق أو العقد من الجواهر.

وقد كثُر استخدام هذه القلادة بصورة واضحة فى زمن الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الرابع عشر الميلادى، حتى قيل: إنه لا توجد امرأة فى ذلك الوقت إلا ولها قلادة من العنبر.

ومن الحلى التى استخدمتها المرأة فى هذا العصر - عصر المماليك - الأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، وعلى رأسها العصايب المزخرفة بالذهب واللؤلؤ.

هذا عدا الخلاخيل التى توضع فوق السراويل حتى تظهر للناظرين، وقد تضرب برجلها فى الأرض أحيانا حتى يسمع صوتها بوضوح.

فإذا تجاوزنا عصر المماليك وانتقلنا إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وقرأنا ما كتبه الكتّاب عن مجوهرات تلك الفترة، وشاهدنا الصور المأخوذة لها نستطيع أن نؤكد أن ما ترتديه المرأة منها اليوم ليس بالشىء الجديد على المرأة المصرية، بل وعلى المرأة عموما فى كافة أنحاء العالم.

وقد تبالغ النساء فى التألق وإظهار مفاتن الجمال، فيحلين أصابع أقدامهن بما يحلين به أصابع اليدين من الخواتم المرصعة بالأحجار الكريمة بحيث كانت المرأة تلبس فى اليد الواحدة أكثر من خاتم إظهارا للنعمة وإعلانا للثراء، وإبرازًا للجمال (واضحة فى الطرحة المطرزة سابقا).

وعلاوة على ذلك (فقد ذكر الجبرتى) (أن النساء استخدمن كثيرا من الذهب والجواهر حتى إنهن تحلين بها، ووضعنها فى ثيابهن، فكان هناك سروال شبيكة من الحرير الأصفر والقصب، وفى كل عين من الشبيكة لؤلوة، وكذلك فى تكة السروال. كما كان على رأس الأطفال أطواق من ذهب وجواهر.

وعلى ذكر الحلى والجواهر يجدر شرح بعض القطع المختلفة التى استخدمتها المرأة بشىء من التفصيل:

- **العقود:**

كان التشابه كبيرا بينها، إذ إن حباتها لم تكن تطول عن ٢٥ سم، مما لم يجعلها تلتف تماما حول العنق، وذلك رغبة من النساء فى إظهارها وعدم إخفائها عن الأنظار، وكان الرباط الخلفى يمتد حوالى ست أو سبع بوصات، ولكن خصلات الشعر المدلاة تقوم بتغطية هذا الجزء الخالى من حبات العقد. كما كان يتوسط العقد عادة حبات كبيرة الحجم يختلف عددها من ١ إلى ٣ إلى ٥ حبات، كما كان يختلف لونها أحيانا أو يختلف فى اللون والحجم معا.

وكانت السيدات الغنيات يلبسن العُقود من اللآلىء والماس، وفى وسط العقد ألماظة مثبتة فى الذهب. وبجانب هذه العقود القصيرة، كانت توجد عقود طويلة تصل أحيانا إلى الحزام ومصنوعة من الماس أو أحجار كريمة أخرى، وكانت تسمى قلادة "Kilâdeh"، وبعض النساء ارتدينها، وبها قطع من العملة المصرية أو التركية المذهبة، كما تزين بالسلاسل الذهبية الطويلة التى تنسدل حتى الخصر، وتنتهى بعلبتين صغيرتين فى إحداهما القرآن "Qorân" لمنع الحسد وجلب الحظ، والأخرى بها عطر. وكانت تسمى القلادة فى ذلك العصر أحيانا (بالكردان)، عبارة عن سلاسل متشابكة تتدلى منها عملات ذهبية عثمانية.

أما نساء الطبقة الفقيرة فلبسن العقود المصنوعة من حبات الزجاج الملون فى صف واحد، أو عدة صفوف بشرط وجود حبة كبيرة أو أكثر فى الوسط. كما كان مشهورا لبس عقود الكهرمان.

كما وجدت أيضا مشابك (دبابيس) الصدر تستعملها النساء لتدبيس بعض أجزاء الزى.

قلادة مكونة من خرز ذات العيون الذى انتشر صناعته
فى مصر فى العهد القبطى.

تزينت النساء بالقلائد وكانت تسمى فى ذلك العصر بالكردان. والشكل يبين كردان من العصر العثمانى من الذهب، عبارة عن سلاسل متشابكة، وعملات ذهبية عثمانية. وبه أحجبة مرصعة بالفصوص.

(أ) مشبك صدر مستدير مزخرف بطائرين متقابلين. من الذهب الملوء بالمينا - (من العصر الفاطمى).
(ب، جـ) دلايتان على هيئة هلال.
(د) مشبك صدر أو دلاية على هيئة هلال.
(هـ) مشبك على هيئة مثلث.
(و) مشبك صدر مستدير عليه نقش مكتوب.
(ز) مشبك صدر أو دلاية على هيئة هلال بزخارف محببة.

(أ)

(جـ)

(ب)

(د)

(هـ)

(و)

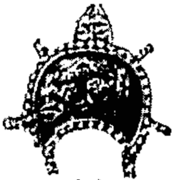

(ز)

obeikandl.com

- الأحجبة :

وهى من الأشياء الهامة التى كانت المرأة المصرية تحرص على اقتنائها وتُغطيها بقطعة من قماش مشمع لحمايتها من الماء أو التلف، وتوضع داخل غلاف من الذهب أو الفضة الرقيقة وتُربط بشريط حريرى أو سلسلة، وعادة ما يُعلق على الجانب الأيمن من الحزام، ويمر الشريط أو السلسلة على الكتف الأيسر.

وكانت هذه الأغلفة تحمل كلمات عربية مثل (ما شاء الله) أو (يا قاضى الحاجات)، وأحيانا كانت السيدة تلبس ثلاثة أحجبة فى وقت واحد: الأوسط منها عبارة عن حجاب رقيق بداخله ورقة مطوية، وسُمكه حوالى ثلث بوصة، أما الآخران فيأخذان شكلا اسطوانيا وفى أطرافها كُرات صغيرة، وبداخل كل منها ورقة ملفوفة بها بعض الآيات القرآنية، وكانت أحيانا تُعلق للأطفال وأحيانا تخلعه المرأة لتضعه على رأس طفلها.

كما اعتادت المرأة لبس المصاحف لدرء الحسد والعين، وجلب الحظ والسعادة. وكانت نُسخ القرآن، توضع فى قطعة من القطيفة أو الجلد المنقوش، وهى عادة تركية أصلا. وكان يُعلق على الجانب الأيمن ويُربط بشريط ويعلق على الكتف الأيسر مثل الحجاب تماما.

- الحلقان :

كان معظم الحلقان من الذهب، ولكن بعضها كان من النحاس. كما كان بعضها يصنع من الفضة. وكثيرا ما كان بالحلقان النحاس حبّات ملونة من العقيق والزمرد الرخيصة. وكان يثبت بها الألماظ أحيانا على شكل قطرة من الماء ثم يطلى لمنع الصدأ.

أما نساء الطبقة الغنية، فكن يستخدمن اللؤلؤ والزمرد مثبت فى الذهب، أو الزمرد والألماظ كذلك. [illegible] ستخدمن الحلقان الذهبية المنقوشة [illegible] مقعرة، أو [illegible] وتتدلى منه حلقات ذهبية تصل إلى [illegible] حلقة [illegible] فى [illegible] توجد فى نهايتها حبات صغيرة مستديرة.

القمرات :

وهى نوع من الحلى استخدمت كتعويذة تثبت فى مقدمة غطاء الرأس، وتتكون إما من قطعة واحدة. وإما من ثلاث أو خمس أو سبع. وتسمى الواحدة منها (قمرة).

وكان يكتب عليها بعض الكلمات المختارة للتبرك بها مثل (يا كافى، يا شافى، يا حافظ)... الخ. وشبيهة بهذه القمرات أنواع أخرى كانت تسمى بالساقية، وهى دوائر مسطحة من الذهب الشفتشى، وبها لآلئ صغيرة وألماظ.

obeikandi.com

- **الأساور :**

استعملت السيدات الأساور الذهبية التى كانت تصمم بحيث تنفرج ثم تُضم لتمسك باليد، وكلها مصنوعة من الذهب البندقى اللين، ليمكن فتحها وضمها، وكانت تُصنع على هيئة لفائف بسيطة غير معقدة.

وكانت تستخدم الأحجار الكريمة فى صنع الغوايش وغالبا ما كانت مثبتة فى الذهب.

وملأت السيدات المقتدرات أيديهن بأسوار الذهب حتى المرفق، فكانت كثيرة العدد فخمة الصنع فاخرة الشكل تدهش الناظر بروعتها وجمالها.

أما الفقيرات من النساء فكان يُصنع لهن غوايش من الزجاج الملون غير الشفاف من اللون الأزرق أو الأخضر غالبا، كما كانت تزخرف أحيانا بألوان أخرى. ولا نزال نجد الكثير من هذه الغوايش فى أيامنا بين الحلى التى تقتنيها المرأة، وتتزين بها من وقت لآخر سواء كانت غنية أم فقيرة.

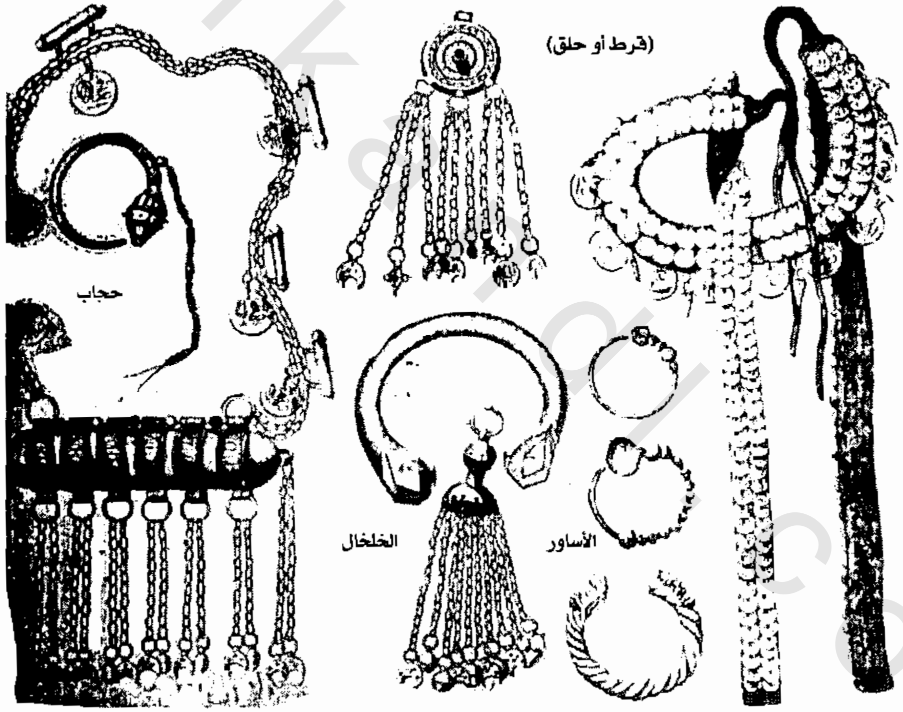

مجموعة من المصاغ سنة ١٨٠٠م بينها حجاب أسطوانى معلق فى سلسلة تتدلى منها أحجبة أسطوانية صغيرة.

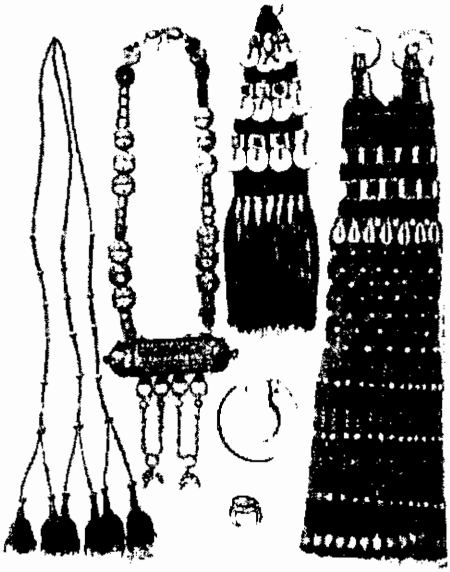

مجموعة من مصاغ كان منتشرا فى مصر سنة ١٨٠٠م، ونرى وسط هذه المجموعة حجابا صدفيا مدلى من قلادة مكونة من خرز أزرق وحبات معدنية

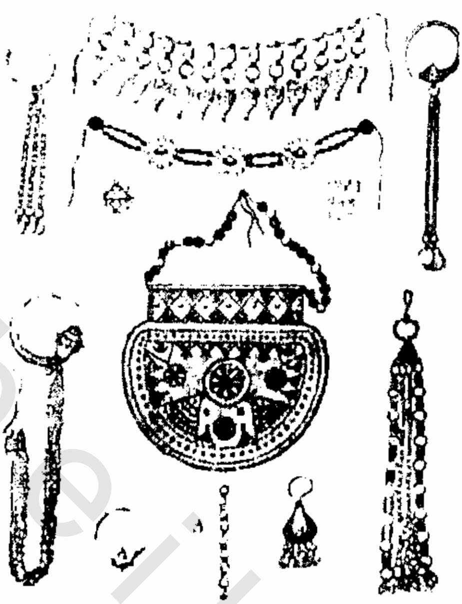

مجموعة من المصاغ فى مصر سنة ١٨٠٠م يتوسطها حجاب معدنى معلق فى قلادة من الخرز.

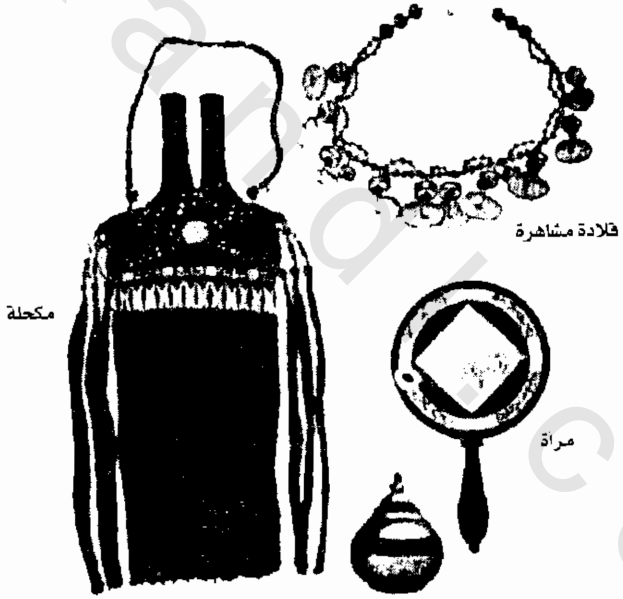

قلادة مشاهرة، ومكحلة ومراة من الأنواع التى كانت دارجة فى مصر ١٨٠٠م.

obeikandl.com

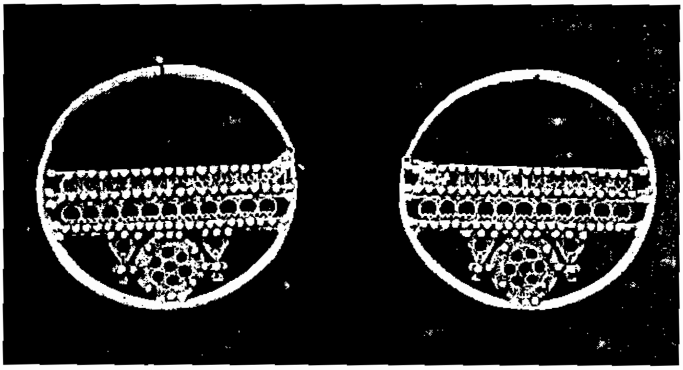

قرط من الذهب مزين بزخارف محببة وأسلاك مشبكة
(من العصر الأيوبى).

مجموعة مختلفة من الحلقات الذهبية والمرصعة بفصوص الألماظ واللؤلؤ – ويلاحظ فى جميع الأشكال دقة الصنع وجمال الذوق وروعة الفن ومهارة الصانع.

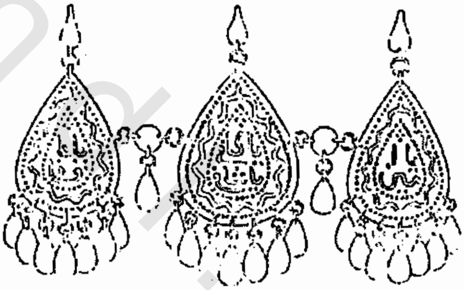

شكل مكون من ثلاث قمرات توضع على الجبهة كتب على الأولى: يا آمين، وكتب على الثانية: يا كافى يا شافى، وكتب على الثالثة: يا حافظ.

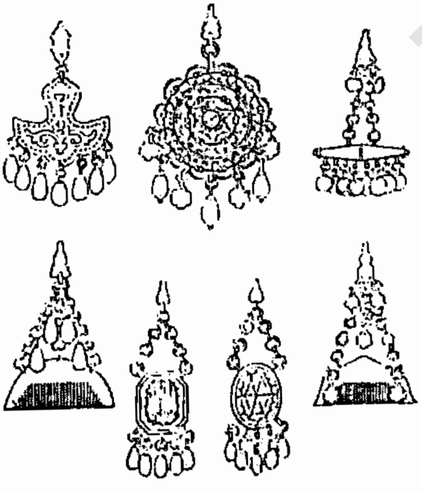

مجموعة مختلفة من القمرات الفردية ويلاحظ فى دلاياتها الأعداد الفردية لدرء الحسد.

- الخلاخيل :

كانت تصنع من الفضة أو من الذهب الخالص بدون أى زخرفة، وتُلبس فى السيقان، وكان لبسها قاصرا على بعض السيدات، ويُعتبر الخلخال من قطع المصاغ ثقيلة الوزن بدرجة كبيرة، وعندما تسير السيدة كان يحتك كل خلخال بالآخر فيعطى رنينا يُلفت أنظار الرجال، ويخلب عقول المصريين حتى لقد نُظمت كلمات تتغنى برنة الخلخال التى تنزع الإعجاب وتسلب العقول، وكان بخلاخيل الشابات أجراس صغيرة تحدث صوتا جميلا عند المشى.

- حلى الرأس :

قبل أن نتحدث عن حلية الرأس، علينا أن نتذكر ما كانت السيدة ترتديه - الطربوش أو الطاقية التى كانت تُعلق بها عملة فضية أو ذهبية أو ترتر أو دلايات بندقية أو تُلبس معها ربطة أو عصبة.

كما يوضع على الجزء العلوى المسطح من الطربوش قرص قطره خمس بوصات، وكان يُصنع من الذهب للفتيات ليتمشى مع الطربوش الأحمر الغامق، وكان يُصنع من الفضة للطبقات الأقل ثراء، وبعض الموسرات كُنّ يُطَعِّمن القرص الذهبى بالألماظ، ويُسمى قرص ألماظ، وكان الألماظ يُوضع على شكل وردة، أو أوراق شجر.

وكان هذا القرص المُطعَّم بالألماظ ثقيل الوزن، يؤلم فى خلعه أو لبسه، وكانت النساء اللواتى يرتدينه باستمرار يشتكين دائما عند خلعه من الصداع، مع أنهن كن يرتدينه بالليل والنهار.

غير أن قرص الليل يختلف عن قرص النهار فى الصنع والخامة. والسيدات الغنيات كن يحتفظن بثلاثة: واحد للخروج وثان للمنزل، والأخير يُلبس عند النوم.

وكان هناك قرص من الشمع المغطى بالورق تلبسه النساء الفقيرات والشغالات.

ومن أنواع الحلى والمجوهرات التى زينت بها المرأة العثمانية الملابس وغيرها، حلية كبيرة الحجم من الذهب كانت تُستخدم لتزيين الرأس أو لتزيين الأحزمة أو الملابس.

ومن حلى الرأس أيضا قطعة توضع فوق الجبهة تُسمى القُصّة "Kussah" طولها حوالى ٧-٨ بوصات، مصنوعة من الذهب المرصع بالماس وأحيانا من الزمرد واللآلئ، وتوضع على مقدمة الربطة، وتثبت بواسطة خطاطيف بسيطة فى الرابطة، وكانت أحيانا تصنع من الفضة المرصعة وهى عادة ما توضع فى رأس العروسة بالذات وتظهر من ثنايا شَالِها، كما يظهر القرص، أو هى بديلة لما تلبسه الأنيقات من (الميزاجى) وهو الشريط الرفيع المزخرف.

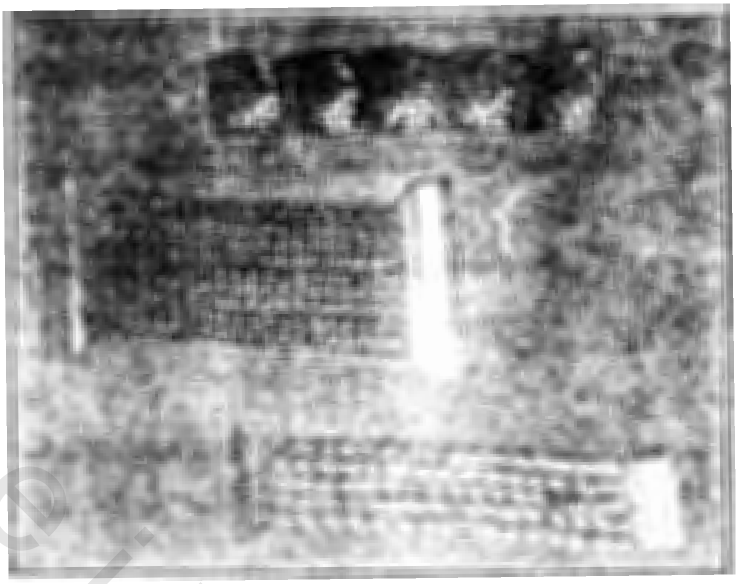

أشكال الاساور

الشكل يحتوى على ثلاث أساور من الذهب من العصر العثماني.

الأسورة العليا من الذهب مكونه من قطع مربعة الشكل ومزخرفة. وفى نهايتها مفصلة. وفى الوسط اسورة من ذهب مكونه من شرائط رفيعة بها حبات أفقية ولها مفصلة عريضة فى نهايتها.

الأسورة السفلى من الذهب أيضا مكونة من شرائط افقية ولها مفصلة تربط كل هذه الشرائط مع بعضها.

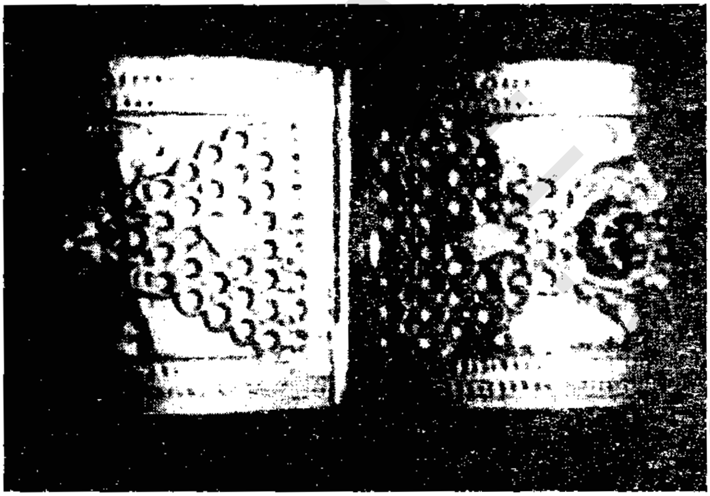

اسورة عريضة من الذهب من العصر العثمانى ومزخرفة بزخارف غاية فى الدقة والجمال.

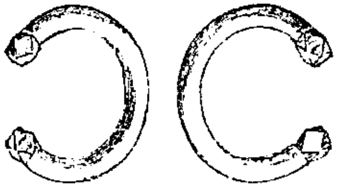

الخلاخيل

تلبس فى نهاية القدم -- وهى ثقيلة الوزن -- وتصنع من مواد مختلفة -- فمنها الذهب - ومنها الفضة -- إلى غير ذلك.

الأساور

يلاحظ فى جميع الأشكال أنها مفتوحة ليسهل لبسها وخلعها وإذا احتاج الأمر لمشبك للأساور الرفيعة فيصنع لها ما يناسبها من المحابس الجميلة مثل رقم (١).

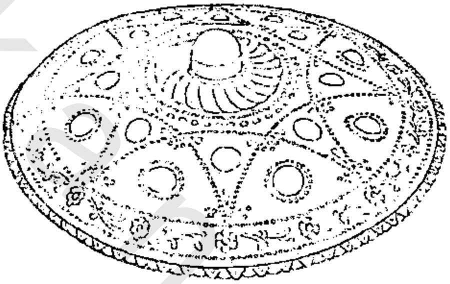

قرص من الذهب يلبس فوق الطاقية

غطاء للرأس (قرص) من الذهب الخالص.

تختلف قيمة الأقراص تبعا لثراء صاحبته والوقت الذى يرتدى فيه وكان يرصع ويجمل باللآلئ والأحجار الكريمة فى بعض الأحيان. وأحيانا أخرى يصنع من الشمع للجوارى.

الخزام

كانت ترتدى الخزام طبقات معينة من الشعب فى الجانب الأيمن من الأنف.

obeikandi.com

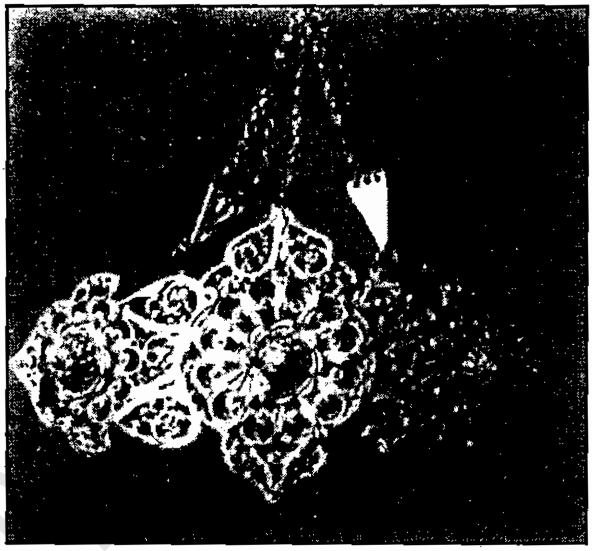

حلية كبيرة من الذهب، كانت تستخدم لتزيين غطاء الراس أو لتزيين الأحزمة، أو لتزيين الملابس.

كذلك كان يوجد نوع آخر مماثل يسمى (عِنِبه Enebeh) ولكنها كانت أطول إذ كان طولها يصل إلى ١٤ أو ١٥ بوصة لدرجة أنها تلف على غطاء الرأس نصف لفة.

كما كان هناك أشياء أخرى مما تُزَيـن بـه الجبهـة والجوانـب تصنـع فـى تكويـن بـارز مـن المجوهرات ذات مثبتات من الذهب أو الفضة على جـانبى غطـاء الـرأس تسـمى (بالريشـة) أو على شكل هلال وتسمى (هلالا)، وأحيانا كانت تصنع على شكل فراشات أو أزهـار أو أشـكال أخرى.

وهى بمثابة ما يُعرف (بالبنس) المزخرفة، وكان يلبس دائما مع الساقية والقمـر مشـط صغير من الذهب لتثبيت كل منها، وإضفاء جو من الجمال على السيدة.

- الخزام :

كانت تزين به الأنوف وكان يبلغ قطره بوصة أو بوصة ونصف، ويُعمل غالبا مـن النحـاس، وعادة ما يكون به ثلاث حبّات ملونة أو أكثر، ويكون لونها أحمـر أو أزرق، وغالبـا مـا يوضـع فى الجانب الأيمن من الأنف، ويُلامس جزءا من الفم.

ولذلك كان لزاما على من ترتديه أن ترفعه بإحدى يديها عند الأكل، وكان يُلبس عند قلة من سيدات مصر، وخاصة عند الطبقات الدنيا بالقاهرة.

هذا، وقد كان للمرأة أثـر كبـير فـى صناعـة أدوات التجميـل الأخـرى وتطورهـا، كالأمشـاط والمرايا وأوانى العطور والمكاحل، والشكمجيات (وهى صناديث الحلى) وكلك (الكيمير توكـاس) وهو تَوَك للأحزمة.

وكان من المتوقع أن تبقى لدى الأسر الميسورة، وبين آثارها نماذج من أنواع الحلى القديمـة، ولو حتى مما يرجع تاريخه إلى أوائل القرن التاسع عشر، ولكن الغريب أننا لا نجـد أثـرا لهـذا النوع من المصاغ فى القرنين الماضيين.

وقد تكون بعض الأنواع الحديثة من المصاغ الشعبى مثل القلائد والأقراط مشابهة للأنواع التى كانت تنتج فى العصر المملوكى، ولكن أصولها لا تكاد توجد باستثناء أمثلة ونماذج ضئيلة جـدا منها كالتى نراها معروضة فى متحف الفن الإسلامى.

ولعل هذا يرجع إلى حالات الفقر التى كانت تنتاب البلاد، مما دعا إلى أخذ الذهـب القديم وإعادة تشكيله من جديد دون الاحتفاظ بالقديم، ولو لمجـرد ذكـرى للأجيـال القادمـة. هـذا إلى جانب انعدام الوعـى فـى هـذه الفـترة بـالحرص علـى الـتراث، والحفـاظ علـى كـل أثـر قديـم للمستقبل، ولعدم تقدير قيمة هذه الآثار من الناحية الحضارية، ومـا تؤديـه مـن خدمـة للثقافـة الإنسانية.

ولا شك أن التخلف الثقافى والحضارى كان له أثر كبير فى ذلك.

على عكس ما نراه لدى كثير من الأمم المتقدمة من المحافظة على التراث، ذكرى للقـادمين، وتكريما للراحلين وإحياء لذكراهم.

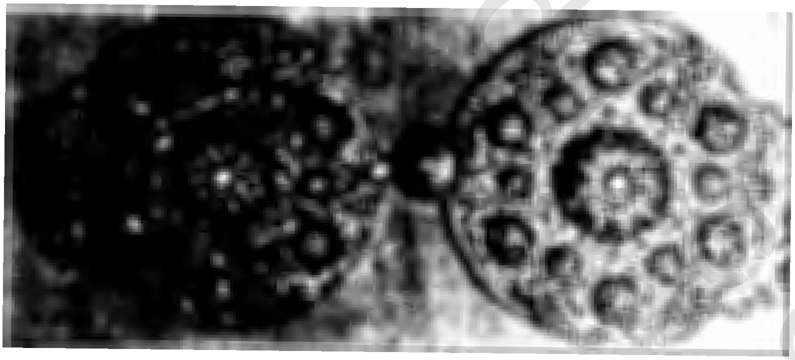

كيمير توكاس (توك للأحزمة).

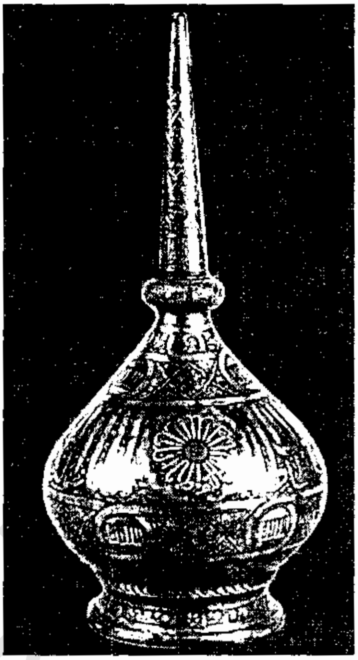

قمقم باسم السلطان حسن. من النحاس مسحوب الرقبة يستخدم للعطور. عليه زخارف كتابية غاية فى الدقة والجمال – من العصر المملوكى – القرن السادس عشر م. (رقم ٧٩/ ١٥١١١) – الفن الإسلامى.

كيس (كيسلير) من اللون الأزرق والأبيض من خيوط التريكو، قوام الزخرفة زخارف كتابية.

٨ - الحمامات والنظافة العامة فى مصر.

امتازت مصر على سائر الأقاليم الإسلامية بإبداع حماماتها، وكانت ذات شهرة عظيمة فى ذلك.

وكان عمرو بن العاص قد أمر بإنشاء أول حمام، شيده المسلمون بسويقة المغاربة بالفسطاط، وكان هذا الحمام يعرف بحمام الغار بسبب مقاساته الصغيرة، فى الوقت الذى كانت فيه حمامات الروم تشتهر بسعتها.

«وذكر الشريف أسعد الجوانى، عن القاضى القضائى أنه كان بمصر (الفسطاط) ١١٧٠ حماما»

وذكر المسيحى فى تاريخه: إن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أول من بنى الحمامات بالقاهرة.

وقال ابن المتوج: إن عدد حمامات القاهرة إلى آخر سنة ٦٨٥ هـ كان يقرب من ثمانين حماما.

والحمامات التى تكلم عنها المقريزى أربعون حماما، منها اثنا عشر حدثت فى زمن الفاطميين، وستة أنشئت أيام الأيوبيين وفى زمن السلاطين الجراكسة أنشئ اثنان وعشرون حماما، فيكون مجموع ذلك أربعين حماما.

وذلك يطابق ما كتبه رجال الحملة الفرنسية فى كتبهم، إذ ذكروا أن عدد الحمامات التى كانت فى أيامهم تزيد على المائة.

وعن وصف الحمامات وطريقة العمل فيها يقول الرحالة الألمانى (أرنولد فون هارفى) كان بالقاهرة حمامات كثيرة للرجال والنساء، وكانت أرضية هذه الحمامات وجدرانها مكسوة بالرخام، ويسخن الماء فى غلايات كبيرة ينقل منها بواسطة أنابيب فخارية إلى أحواض رخامية.

ومن الطريف ما نقله المقريزى عن ابن اسحق فى كتاب المبتدى: أن أول من اتخذ الحمامات بالطلاء بالنورة، سليمان بن داوود عليهما السلام.

وكان التردد على الحمامات عادة عند المصريين حيث تذهب إليها النساء للاستحمام أولا ولأنها كانت إحدى مجتمعاتهن المألوفة ثانيا، يأنس فيها بعضهن لبعض، ويتبادلن الأحاديث الودية عن بعض شئونهن المنزلية فيما يتعلق بأشخاصهن أو أقاربهن.

ونساء مصر من أرق النساء طبعا وأحلاهن صورة واهتماما بالنظافة واستجابة لما يحث عليه الإسلام من اهتمام بالنظافة والطهارة، وحرصا على الظهور بالمظهر اللائق الكريم.

والواقع أن المرأة المصرية تفننت فى مختلف الوسائل التى تظهر جمالها، وتبرز فتنتها، فحرصت على العناية بنفسها وجسمها، واهتمت بإزالة الشعر الزائد من جسمها، وتسوية حواجبها بالتهذيب والزينة لتظهر دائما فى أجمل صورة ممكنة.

ومن العادات التى كانت مألوفة فى مصر منذ عهد المماليك، ذهاب العريس، والعروس إلى الحمام قبل حفل الزفاف، ويعتبر هذا الحدث عيدا من الأعياد العائلية الرائعة، كما أن المريض إذا دخل الحمام اعتبر ذلك إعلانا لشفائه. ويستأجر الحمام لهذه المناسبة حتى لا يشاركهم فيه أحد.

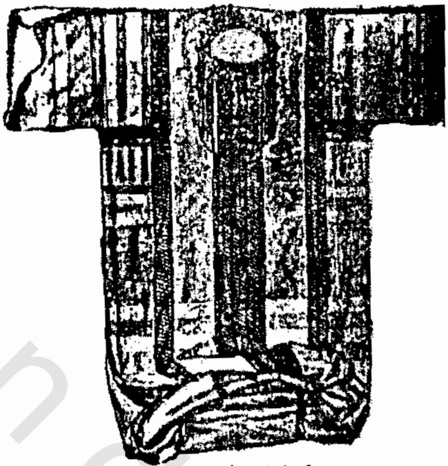

نموذج لنفس الرداء.

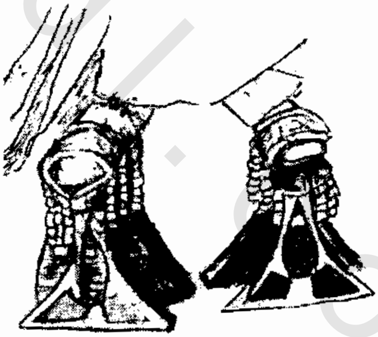

شكل القبقاب المرتفع.

سيدة بملابس الحمام

سيدة ترتدى الثوب الخاص بالحمام وقد ازدانت حافتاه الأماميتان ببعض التطريز البسيط — وكذلك أطراف الأكمام. أما نفس الرداء فمصنوع من القماش اللين ذى الخطوط الرفيعة. كما تلبس القبقاب الخشب الخاص بالحمام ذا الكعب المرتفع.

obeikandl.com

كذلك كان الحمام بمثابة مركز اجتماعى اعتادت أن تجتمع فيه النساء والصديقات بعيدا عن البيوت حيث لا كلفة ولا قيود يتحدثن فى مختلف الشئون.

وتصطحب المرأة معها أفخر ثيابها. وأنفس حليها لتلبسها بعد الاستحمام حتى يراها غيرها فى أبهى حللها وأجمل مظاهرها.

وكان كثير من الرجال يعارضون فى ذهاب المرأة إلى الحمام ونصح كثير من العلماء معاصريهم أيام حكم المماليك بعدم السماح لنسائهم بدخول الحمام لما اشتمل عليه زمن المماليك من المفاسد والعادات الرديئة.

وذكر «لين» أنه يوجد من ستين إلى سبعين حماما للناس العاديين، فيتوجه إليها كل الناس تقريبا بدلا من الاستحمام فى النيل.

أما الأغنياء فكان لديهم حمامات خاصة فى منازلهم، ولكنهم مع ذلك كانوا يتوجهون إلى الحمامات العامة بالخارج.

وكان هناك حمامات للسيدات وأخرى للرجال وبعضها كان للاثنين، مع تخصيص الصباح للنساء والمساء للرجال. وكثير من السيدات كن يستأجرن جزءًا من الحمام يسمى «الخلوة» وكان هذا قاصرا على المقتدرات منهن. وقد تصحب الأطفال على أن يأخذن القباقيب وملابس الاستحمام معهن..

وأحيانا كانت العائلة تستأجر الحمام بأكمله وترسل سيداتها إليه مرة واحدة أو مرتين فى الأسبوع، كما كان بعض السيدات يتفقن مع بعضهن ويستأجرن الحمام فى يوم معين ويذهبن إليه سويا، ثم بعد ذلك يفتح الحمام للجميع.

أما الفقيرات فينطلقن إلى الحمام وحدهن دون أى شيء معهن، ودون اهتمام بستر أجسامهن أمام الرفيقات ولو حتى بالمنشفة.

ومن المهمات الاجتماعية للحمامات فى هذا الوقت، أن الأمهات كن أحيانا يذهبن إليها لاختيار عروس لأبنائهن حتى تراها عارية تماما، فلا تنخدع بمظهرها الخارجي.

وأخيرا كانت الحمامات وسيلة أخرى لتزيين المرأة وتجميلها بجانب ملبسها الأنيق وحليها الفاخرة وحنّتها وكحلها.

وبذلك كانت نساء مصر تنفرد عن باقى نساء العالم في طريقة إظهار مفاتنها، وإبراز زينتها وجمالها بطريقة طبيعية أو بدائية بسيطة، حتى جاء الغزو الفرنسى، وعرفت الأساليب الغربية الحديثة، وأخذت المرأة المصرية تتدّرج فى تتبعها وملاحقتها، حتى نراها الآن وقد وصلت إلى استخدام أحدث المبتكرات الحديثة فى عالم التجميل، وتسير المرأة المصرية فى كل بدعة وكل تقليعة غربية حتى لا يتهمها أحد بالتخلف والتأخر. وتركت الأشياء البسيطة الجميلة الطبيعية التى كانت مستخدمة، والتى كانت الأساس الذى بنى علّيه الغرب تقدمه فى مختلف نواحى الحضارة على أساس من علم الشرق وحضارته.

obeikandl.com